

## الفصل الثاني

### أصول الدعوة

ويشتمل على مقدمة ، ومبحثين :

- ١ - أدلة الدعوة ومصادرها .
- ٢ - أركان الدعوة : الداعي ، المدعو ،  
موضوع الدعوة .

## مقدمة بين يدي أصول الدعوة

إذا كانت أصول العلوم تعني : قواعدها وأسسها التي تبنى عليها أحكامها ، فإن أصول الدعوة تعني : تلك القواعد والأسس ، والمبادئ التي تبنى عليها الدعوة .

وإن أي دعوة لا تقوم على قواعد سليمة ، وأسس صحيحة ، ومبادئ قوية ، فهي دعوة باطلة لا تؤدي إلى خير .

وإن أي جهل بقواعد وأسس ومبادئ الدعوة ، يجعل الداعية يدعو على غير بصيرة ، فيخبط في دعوته خبط عشواء ، وقد يضر من حيث يريد النفع ، ويسيء من حيث يريد الإحسان ،

والدعوة الإسلامية أحق دعوة يجب أن يُعنى بأصولها ، لأنها دعوة العباد إلى الله عز وجل ،

والطريق إلى الله ، لا يستغني السالكُ فيه ، والدالُّ عليه عن هدي كتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ ، لأن القرآن الكريم هو الكتاب الذي يهدي للتي هي أقوم ، ولأن السنة النبوية هي المحجة البيضاء ، التي من سار عليها لا يضل أبداً ...

ومبادئ الدعوة الإسلامية ليست أموراً اجتهادية تترك للعقول البشرية أن تَضَعها كما تشاء ، وإنما هي أحكامٌ شرعية ، ومعالم ريانة نَصُّ عليها القرآن الكريم ، وأوضحها السنة النبوية ، وحملها إلى الناس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن تبعهم بإحسان .

ومجال الدعاة فيها محصور في صياغتها وأسلوب عرضها بالشكل

الذي يُقَرِّبها من العباد ، وُحِبِّبها إليهم ليقبلوا عليها ويتمسكوا بها .  
وقد سبق معنا في بحث « المصطلحات » أن مصطلح أصول الدعوة :  
يشمل أمرين أساسيين ، هما :

١ - أدلة الدعوة ومصادرها .

٢ - أركان الدعوة .

وقد جعلت كل أمر من هذين الأمرين في مبحث مستقل تحت هذا

الفصل من الكتاب .

\* \* \*

# المبحث الأول

## « أدلة الدعوة الإسلامية ومصادرها »

يمكننا تفصيل أدلة الدعوة الإسلامية ومصادرها على وجه يشمل جميع ما تستند إليه الدعوة أو تسترشد به ، وتستمد منه ، فتصبح خمسة مصادر أساسية ، وهي :

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - السنة النبوية الشريفة .
- ٣ - السيرة النبوية المطهرة .
- ٤ - سيرة الخلفاء الراشدين .
- ٥ - وقائع العلماء والدعاة في ضوء تلك المصادر .

كما يمكننا إجمال الأدلة والمصادر جميعها في نوعين أساسيين ، هما :

- ١ - الأحكام الشرعية المعتمدة على الأدلة الشرعية : الأصلية منها والتبعية : الكتاب والسنة ، والإجماع والقياس ، والاستحسان ، والاستصلاح والاستصحاب وما إلى ذلك :
- ٢ - التجارب العملية الصادرة عن العلماء والدعاة في ضوء تلك الأحكام الشرعية .

وسأقتصر في هذا المقام على التعريف بتلك المصادر الأساسية ، وبيان خصائصها دون التعرض لأمر أخرى تتعلق بها ، وذلك مراعاة لطبيعة الموضوع وحاجة الدعاة ، مع ملاحظة الاستغناء عن ذكر دليل

الإجماع والقياس من الأدلة الأصلية ، وغيرهما من الأدلة التبعية التي تذكر في كتب أصول الفقه . لرجوعهما في الحقيقة إلى الكتاب والسنة ، واختصاص العلماء بها من جهة ، ولاعتماد العلماء والدعاة عليها في تعاملهم مع الوقائع والأحداث من جهة أخرى .

## ١ - المصدر الأول :

### « القرآن الكريم »

تعريفه :

أ - في اللغة : القرآنُ : مصدر قرأَ يقرأ ، وقيل في أصول اشتقاقه غير ذلك ، يقول الراغب الأصفهاني في كتابه « المفردات في غريب القرآن » :

« والقرآن في الأصل مصدرٌ نحو : كُفِرَانٌ ورجحان ، قال : ﴿ إن علينا جمعهُ وقرآنهُ ، فإذا قرأناه فاتَّبِعْ قرآنهُ ﴾ قال ابن عباس : إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك ، فاعمل به ،

وقد خُصَّ بالكتاب المنزل على محمد ﷺ ، فصار له كالعلم ، كما أن التوراةَ لِمَا أنزل على موسى ، والإنجيلَ على عيسى صلى الله عليهما وسلم ،

قال بعض العلماء : تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمره كتبه ، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار تعالى إليه بقوله : ﴿ وتفصيل كل شيء ﴾ وقوله : ﴿ تبیاناً لكل شيء ... الخ ﴾ (١) .

(١) « المفردات في غريب القرآن » ص ٤٠٢ ، تحقيق محمد سيد كيلاني .

ويقول محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه « مناهل العرفان في علوم القرآن » :

« وعلى الرأي المختار : فلفظ « قرآن » مهموز ، وإذا حذف همزه ، فإنما ذلك للتخفيف ، وإذا دخلته « ال » بعد التسمية فإنما هي للمُحِ الأصل لا للتعريف .

ويُقال للقرآن : فرقان أيضاً ، وأصله مصدر كذلك ، ثم سمي به النظم الكريم تسميةً للمفعول أو الفاعل بالمصدر ، باعتبار أنه كلام فارق بين الحق والباطل ، أو مفروقٌ بعضه عن بعض في النزول ، أو في السور والآيات ، قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ .

ثم إن هذين الاسمين هما أشهر أسماء النظم الكريم ، بل جعلهما بعض المفسرين مرجع جميع أسمائه ، كما ترجع صفات الله على كثرتها إلى معنى الجلال والجمال ،  
ويلى هذين الاسمين في الشهرة هذه الأسماء الثلاثة : « الكتاب ، والذكر ، والتنزيل ... الخ »<sup>(١)</sup> .

### ب - وفي الاصطلاح :

اختلفت أساليب العلماء في تعريف القرآن الكريم في الاصطلاح ، فذهب بعضهم إلى الاختصار والإيجاز ، وذهب آخرون إلى التفصيل والإطناب ، ولعل من أقصر ما يمكن أن يُعرّف به أنه :

(١) انظر « مناهل العرفان في علوم القرآن » للزرقاني ( ٧/١ و ٨ ) ، ط : عيسى البابي الحلبي .

« كلام الله عز وجل ، المنزل على رسوله ﷺ ، المنقول عنه بالتواتر ، المتعبدٌ بتلاوته » .

كما يمكن أن يفصل في التعريف بالتوسع في ذكر أهم خصائصه ، فيقال هو :

« كلام الله عز وجل ، المنزل على رسوله ﷺ بلسان عربي مبين ، المنقول إلينا بالتواتر ، والمتعبد بتلاوته ، والمكتوب في المصاحف ، والمعجز في لفظه ومعناه ، والمبدوء بسورة الفاتحة ، والمختوم بسورة الناس »<sup>(١)</sup> .

فخرج بقولنا « كلام الله » كلامٌ غيره من المخلوقات ، ويقولنا « المنزل على رسوله ﷺ » ما نُزل على غيره كالتوراة والإنجيل ، ومالم ينزل من كلامه سبحانه على أحد ، ويقولنا « بلسان عربي مبين » ما نزل بغير العربية ، ويقولنا : « المنقول بالتواتر » ما لم ينقل بالتواتر ، كالقراءات المشهورة والآحاد ، ويقولنا « المكتوب في المصاحف » ما نسخ من القرآن بلفظه مما أشارت إليه السنة ، وقولنا « المعجز في لفظه ومعناه والمتعبد بتلاوته » الأحاديث النبوية والقدسية ، فهي وإن كانت حياً في حقيقتها ، فإنها غير معجزة بلفظها ومعناها ، وغير متعبد بتلاوتها ، لأن معناها من الله عز وجل ، ولفظها وصياغتها من رسول الله ﷺ - وإن اختلفت القدسية عن النبوية في الصياغة والأسلوب - وهكذا ...

(١) انظر كلاماً مفيداً حول أساليب العلماء في ذلك في « مناهل العرفان » (١٢/١ - ١٤) .

## خصائص القرآن الكريم :

تختلف أساليب العلماء في عدّ خصائص القرآن الكريم ، فمن مقتصر على الخصائص التي تدل عليها قيود التعريف السابقة ، ومن مضيف عليها الخصائص العامة المأخوذة من الخصائص العامة للإسلام . ولما كانت الخصائص العامة للإسلام مستخلصة من خصائص القرآن الكريم والسنة النبوية ، وراجعة إلى خصائصه ، رأيت أن أسلك طريقة التفصيل ، فأذكر للقرآن ما أمكن من خصائص ، بادئاً بالأعم منها فالأعم ، وموضحاً لكل خصيصة بالمقدار الذي يجلي معناها العام ، مع الاستدلال على كل خصيصة ، والإحالة على بعض المراجع والمصادر فيها .

فمن خصائص القرآن الكريم :

١ - الرّبّانية : وهي نسبة إلى الرب سبحانه وتعالى ، وهي أمّ الخصائص ومصدرها جميعاً ، إليها ترجع الخصائص الأخرى (١) .  
ومادام القرآن الكريم كلام الله عز وجل ، فهو ربّاني بكل ماتحتمله هذه اللفظة من معانٍ ، لا دخل لبشر فيه أبداً ، لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى ، فهو الكتاب العزيز ، والذكر الحميد قال تعالى عنه :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ \* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ \*  
إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ \* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ \* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ \*

(١) انظر تفصيلاً لخصيصة « الرّبّانية » في كتاب « الخصائص العامة للإسلام » للدكتور : يوسف القرضاوي - الطبعة الثانية من ص : ( ٩ - ٥٥ ) .

تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ ١١ ﴾ .

وقال أيضا :

﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ ، لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ... ﴾ (١) .

٢ - الكمال : وهي بمعنى « الخلو عن النقص والعيب » ، وهي

أثر للخصيصة الأولى « الربانية » فكلام الله عز وجل المنزه عن كل نقص وعيب كامل أيضاً ، قال تعالى :

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ \* لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٢) .  
وقال أيضاً :

﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٣) .

٣ - الوضوح : وهي « الإبانة » ويقابلها « الغموض » (٥) ، قال

تعالى في وصف كتابه :

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مِنَ اتِّبَعِ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ، وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

(١) الآيات / ٧٥ - ٨٠ / من سورة الواقعة .

(٢) الآية / ٢١ / من سورة الحشر .

(٣) الآيات / ٤١ - ٤٢ / من سورة فصلت .

(٤) الآية / ٢٨ / من سورة الزمر .

(٥) انظر تفصيلاً للخصيصة « الوضوح » في كتاب « الخصائص العامة للإسلام » من ص :

( ١٨٧ - ٢١٣ ) .

بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴿ (١) .

وقال أيضاً :

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿ عَلَى

قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿ (٢) .

وقال أيضاً :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ

نوراً مبيناً ﴿ فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به ، فَسَيَدْخُلُهُمْ

فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَقَضَلٌ ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ﴿ (٣) .

وقال :

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ، وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿ (٤) .

٤ - الشمول : وهي « الإحاطة » ، فالقرآن شامل لجميع

ما يحتاج إليه الإنسان في دنياه وأخراه ، لأنه جاء لسعادته في الدنيا

والآخرة ، وهذا ما يُعبّر عنه بعضهم : بالشمول الموضوعي ، وهو شامل

لجميع الناس من زمنه ﷺ إلى يوم القيامة ، وموجهٌ إليهم جميعاً أينما

كانوا ، وهو ما يعبر عنه بعضهم : بالشمول الزماني والمكاني (٥) .

(١) الآيات / ١٥ - ١٦ / من سورة المائدة .

(٢) الآيات / ١٩٢ - ١٩٥ / من سورة الشعراء .

(٣) الآيات / ١٧٤ - ١٧٥ / من سورة النساء .

(٤) الآية / ١٦ / من سورة الحج .

(٥) انظر تفصيلاً لمخصبة « الشمول » في كتاب « الخصائص العامة للإسلام » من ص :

( ١٠٥ - ١٢٥ ) .

قال تعالى مشيراً إلى هذه الخصبية :

﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ (١) .

وقال أيضاً :

﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ، وهدى ورحمة

وبشرى للمسلمين ﴾ (٢) .

وقال أيضاً :

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (٣) .

وقال :

﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين

نذيراً ﴾ (٤) .

٥ - التوازن : وهي « الانسجام » والائتلاف بين أجزاء الشيء ويقابلها : « التنافر والاختلاف » ، ويعبر عنها بعضهم « بالوساطية » نسبة إلى الوسط (٥) ، ولا يشترط في توازن الشيء التساوي بين أجزائه ، وإنما يكفي الاعتدال والانسجام فيما بينها ، كما يُقال عن الدَّم في جسم الإنسان إنه متوازن مع اختلاف نسبة تركيباته كماً ،

---

(١) الآية / ٣٨ / من سورة الأنعام .

(٢) الآية / ٨٩ / من سورة النحل .

(٣) الآية / ١٠٧ / من سورة الأنبيا .

(٤) الآية / ١ / من سورة الفرقان .

(٥) انظر تفصيل الخصبية ( التوازن ) باسم ( الوساطية ) في كتاب « الخصائص العامة

للإسلام » من ص : ( ١٢٧ - ١٥٦ ) .

والتوازن خصيصة متعلقة بخصيصة الشمول ومكملتة لها ، فلا يظهر جمال الشمول إلا بالتوازن .  
قال تعالى :

﴿ والسماءَ رفعها ، ووضع الميزان \* ألا تَطَّغُوا في الميزان \*  
وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ﴾ (١) .  
وقال أيضاً عن كتابه :

﴿ أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ (٢) .

فالقرآن الكريم كتاب متوازن فيما جاء به من هداية ، وما عرضه من موضوعات ، وما عاجله من مشكلات ، يحقق انسجاماً بين الروح والمادة ، وبين العقل والقلب ، وبين الحقوق والواجبات ، وما إلى ذلك من أوجه التوازن ...

٦ - العملية : وهي : ( صلاحية الشيء للتطبيق والعمل به في كل زمان ومكان ) ، وهذه الخصيصة تُعدُّ ثمرةً ونتيجةً لجميع الخصائص السابقة ، فلولاها لم تكن هذه الخصيصة .

واصطلاح « العملية » اصطلاح خاص غير معهود في كتب الخصائص ، يرجع في حقيقته إلى الجمع بين مزايا « المثالية والواقعية » فضلتُ التعبير به تجنباً لاصطلاح المثالية والواقعية الذي يستخدمه بعض الكاتبين في الخصائص ، وذلك لما له من إحياءات سلبية يوحى بها

(١) الآيات / ٧ - ٩ / من سورة الرحمن .

(٢) الآية / ٨٢ / من سورة النساء .

أصل نشأة كل من المثالية والواقعية كمصطلحين متقابلين .

فالقرآن الكريم كتاب عمليٌ يصلح للتطبيق في كل زمان ومكان ، كما صلح للتطبيق في عصره ﷺ ، وذلك لأنه كتاب خاتم الرسل ، ودستور خاتم الأديان ، ولو لم يكن عملياً لأنزل الله بعده كتباً أخرى ، كما أنزل الإنجيل بعد التوراة ، وأنزل القرآن بعدها ، فسبحان من لا تنفذ كلماته ، قال تعالى :

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي ، لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ، وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ (١) .

ومن مظاهر عمليته ، جمعه بين التطور والثبات في أحكامه ، واشتماله على مزايا الواقعية والمثالية في تشريعاته ... (٢)

قال تعالى مؤكداً هذه الخصيصة :

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٣) .  
وقال أيضاً :

﴿ طه \* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى \* إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى \* تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى \* الرَّحْمَنُ

(١) الآية / ١٠٩ / من سورة الكهف .

(٢) انظر تفصيلاً لهذه الخصيصة في خصيصة ( الواقعية ) ص ( ١٥٧ - ١٨٦ ) وخصيصة الجمع بين التطور والثبات ( ٢١٥ - ٢٥٨ ) في كتاب « الخصائص العامة للإسلام » .

(٣) الآيات / ١٥ - ١٦ / من سورة المائدة .

على العرش استوى \* لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ،  
وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَاتَحْتَ الثَّرَى ﴿ ١١ ﴾ .

٧ - الإعجاز : وهي ( إظهار عجز البشر بتحدّيهم بالإتيان بمثله  
شكلاً ومضموناً ) ويمكن إجمال أوجه الإعجاز القرآني في عدة وجوه  
منها :

أ - الإعجاز البياني .

ب - الإعجاز التشريعي .

ج - الإعجاز الإخباري ( الغيبي ) .

د - الإعجاز العلمي (٢)

فقد تحدى القرآن الكريم الناس جميعاً بأن يأتوا بمثله ، وذلك على  
ثلاث مراحل على رأي جمهور العلماء ، وعلى أربع مراحل على قول  
بعضهم (٣) ،

قال تعالى :

﴿ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا

القرآن ، لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴿ ٤٤ ﴾ .

وقال :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ،

(١) الآيات / ١ - ٦ / من سورة طه .

(٢) انظر تفصيلاً لبعض وجوه الإعجاز القرآني في كتاب « مباحث في إعجاز القرآن »  
للدكتور مصطفى مسلم ص ( ١٠٧ ... ) .

(٣) انظر « مباحث في إعجاز القرآن » ص ( ٣٣ - ٣٦ ) .

(٤) الآية / ٨٨ / من سورة الإسراء .

وَادْعُوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين \* فإن لم  
يَسْتَجِيبُوا لكم ، فاعلموا أنما أُنزِلَ بِعِلْمِ الله ، وأن لا إله إلا هو ،  
فهل أنتم مسلمون ﴿ (١) .

ويقولن أيضاً :

﴿ أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من  
استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴿ (٢) .

وقال أيضاً :

﴿ أم يقولون تَقَوُّله ، بل لا يؤمنون \* فليأتوا بحديث مثله  
إن كانوا صادقين ﴿ (٣) .

هذا ولا يزال هذا التحدي سائر المفعول إلى يوم القيامة ، ولا يزال  
العلماء يكتشفون أوجهاً إعجازية فيه ، كل بحسب إمكاناته وتخصصه .  
ومن هنا : كان القرآن المعجزة الخالدة إلى يوم القيامة ، قال تعالى :  
﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ  
أنه الحق ﴿ (٤) .

وقال أيضاً :

﴿ واللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ (٥) .

(١) الآية / ١٣ - ١٤ / من سورة هود عليه السلام .

(٢) الآية / ٣٨ / من سورة يونس عليه السلام ، وانظر الآيات / ٢٣ - ٢٤ / من سورة البقرة .

(٣) الآيات / ٣٣ - ٣٤ / من سورة الطور .

(٤) الآية / ٥٣ / من سورة فصلت .

(٥) الآية / ٢١ / من سورة يوسف عليه السلام .

٨ - الثبوت القطعي : وتعني ( اتصال سند نقل القرآن الكريم وروايته بالنبي ﷺ ، دون انقطاع على وجه متواتر قطعي لا يداخله شك إلى يومنا هذا ) .

ولم تثبت مثل هذه الخصيصة لأي كتاب سماوي آخر ، وهي من مستلزمات خاصية حفظ القرآن ، وخلود الإسلام ...  
فلو داخلَ السندَ أيُّ شك في أي عصر من العصور ، لم تقم الحجة القاطعة بالقرآن على الناس إلى يوم القيامة .

وعلى الرغم من وجود القراءات المشهورة والآحاد ، التي يستفاد منها في التفسير واستنباط الأحكام ، فقد أجمعت الأمة على وجوب تجريد القرآن عنها عند جمعه ، فلم يُثبِتْ في المصحف إلا المتواتر المقطوع بثبوتِه :

يقول الإمام الغزالي :

« حَدُّ الْكِتَابِ : مَا نَقَلَ إِلَيْنَا بَيْنَ دُفْتَيْ الْمَصْحَفِ عَلَى الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ الْمَشْهُورَةِ نَقْلًا مُتَوَاتِرًا . وَنَعْنِي بِالْكِتَابِ الْقُرْآنَ الْمَنْزُولَ ، وَقِيدِنَاهُ بِالْمَصْحَفِ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ بِالْغَوَا فِي الْاِحْتِيَاطِ فِي نَقْلِهِ ، حَتَّى كَرِهُوا التَّعَاشِيرَ وَالنَّقْطَ ، وَأَمَرُوا بِالتَّجْرِيدِ ، كَيْلَا يَخْتَلِطَ بِالْقُرْآنِ غَيْرُهُ ، وَنَقَلَ إِلَيْنَا مُتَوَاتِرًا ، فَنَعْلَمُ أَنَّ الْمَكْتُوبَ فِي الْمَصْحَفِ الْمُتَّفَقَ عَلَيْهِ هُوَ الْقُرْآنُ ، وَأَنَّ مَا هُوَ خَارِجٌ عَنْهُ فَلَيْسَ مِنْهُ ... الخ » (١) .

٩ - الحفظ : وتعني ( السلامة من التحريف ، والزيادة والنقص ) ، فقد حفظ الله عز وجل هذا القرآن من أي تغيير أو تبديل ، وذلك بتهيئة

(١) انظر « المستصفي » للإمام الغزالي ( ١٠١/١ ) وانظر معه نقولاً أخرى مفيدة في ذلك ، ساقها الزرقاني في كتابه « مناهل العرفان » ( ٤٢٤/١ - ٤٤٨ ) .

من يهتم به ويرعاه من أول يوم أنزل إلى يومنا هذا ...

قال تعالى :

﴿ لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ \* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ \*

فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿ (١) .

وقال أيضاً :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٢) .

فكان من حفظ الله له مدارس رسول الله ﷺ له مع جبريل عليه السلام ، وأمر رسوله ﷺ كتبة الوحي بكتابته ، وحرص الصحابة رضوان الله عليهم على حفظه صدراً وسطراً ... وتوفيق المسلمين إلى جمعه بعد وفاة رسول الله ﷺ أيام أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما ، وما إلى ذلك من مظاهر الحفظ العجيبة التي لم تتوفر لكتاب آخر على الإطلاق (٣) . إلى غير ذلك من خصائص عديدة ، لم يشاركه فيها كتاب آخر ، ولا عجب فالقرآن الكريم كتاب الله ، مصدر كل خير ، وملجأ كل عالم وداعية ، وهو العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، وحبل الله المتين ...

\* \* \*

(١) الآيات / ١٦ - ١٩ / من سورة القيامة .

(٢) الآية / ٩ / من سورة الحجر .

(٣) انظر بحثاً هامة مفيدة في جمع القرآن وبيان عوامل حفظه في كتاب « مناهل العرفان في علوم القرآن » للزرقاني ( ١ / ٢٣٢ - ٣٣٠ ) .

## ٢ - المصدر الثاني :

### « السنة النبوية الشريفة »

تعريف السنة :

أ - في اللغة : تطلق السنة على معان كثيرة في اللغة ، منها : الطريقة ، قال في التهذيب : السنة : الطريقة المحمودة المستقيمة ، ولذلك قيل : فلان من أهل السنة ، معناه : من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة ، وهي مأخوذة من السَّنين ، وهو : الطريق ...

قال شَمِرٌ : السنة في الأصل سنة الطريق ، وهو طريقُ سنَّه أوائل الناس ، فصار مسلماً لمن بعدهم ، وسَنَّ فلانُ طريقاً من الخير ، يسُنُّه : إذا ابتدأُ أمراً من البر لم يعرفه قومه ، فاستسنَّوا به وسلكوه ، وهو سنين ، ويقال : سنَّ الطريق سنّاً وسننّاً ، فالسنُّ المصدر ، والسنن الاسم بمعنى المسنون ... (١)

قال الراغب : « وسنة النبي ﷺ : طريقته التي كان يتحراها ، وسُنَّةُ الله تعالى قد تُقال لطريقة حكمته ، وطريقة طاعته ، نحو ﴿ سُنَّةُ الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً - ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾ (٢) .

ب - والسنة في الاصطلاح : تعددت تعريفاتها تبعاً لاختصاص المعرفين لها ، فهناك تعريف للمحدثين ، وآخر للفقهاء ، وثالث للأصوليين ،

(١) انظر « لسان العرب » لابن منظور ( ٢٢٦/١٣ ) .

(٢) « المفردات في غريب القرآن » ص : ( ٢٤٥ ) .

وسأكتفي هنا بتعريف الأصوليين للسنة ، لأنه المناسب لمقام ذكر المصادر والأدلة .

فقد عرفها بعضهم بقوله هي :

« ما صدر عن سيدنا محمد ﷺ غير القرآن ، من فعل أو قول أو تقرير »<sup>(١)</sup> .

والسنة بهذا المعنى هي المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام بعد كتاب الله عز وجل ، يقول الإمام ابن عبد البر - رحمه الله - :  
« وأما أصول العلم : فالكتاب والسنة ، وتنقسم السنة قسمين : أحدهما : إجماع تنقله الكافة عن الكافة ، فهذا من الحجج القاطعة للأعداء إذا لم يوجد هناك خلاف ، ومن رَدُّ إجماعهم فقد رد نصاً من نصوص الله ، يجب استتابته عليه ، وإراقة دمه إن لم يتب لخروجه عما أجمع عليه المسلمون ، وسلوكه غير سبيل جميعهم ، والضرب الثاني من السنة : خير الآحاد الثقات الأثبات المتصل الإسناد : فهذا يوجب العمل عن جماعة علماء الأمة الذين هم الحجة والقُدوة ، ومنهم من يقول : إنه يوجب العلم والعمل جميعاً ... »<sup>(٢)</sup> .

وجاء في الحديث الشريف : « إني تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به ، فلن تضلوا أبداً : كتاب الله ، وسنة نبيه »<sup>(٣)</sup> .

(١) « شرح مختصر ابن الحاجب » للعضد ( ٢٢/٢ ) ، و « شرح مسلم الثبوت » ( ٦٧/٢ ) .

(٢) « جامع بيان العلم وفضله » ( ٣٣/٢ - ٣٤ ) ، وانظر تفصيلاً لتعريفات السنة في

كتاب « حجية السنة » للدكتور : عبد الغني عبد الخالق - رحمه الله - ص ( ٤٥ - ٨٤ )

ط : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

(٣) الحديث رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد ، انظر « الترغيب والترهيب » للمنذري ( ٨٠/١ )

ط قطر .

وقد كانت السنة النبوية في هذه المكانة لأنها إما أن تكون مبينة ومفصلة لما جاء في القرآن الكريم ، وإما أن تثبت حكماً جديداً لم يُنصَ عليه فيه <sup>(١)</sup> ، ومن هنا : كانت طاعة الرسول ﷺ مقرونة بطاعة الله تعالى ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ ، فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ <sup>(٢)</sup> .  
وقال أيضاً :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ، فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِين ﴾ <sup>(٣)</sup> .

والسنة النبوية بالنسبة للداعية هي طريقة رسول الله ﷺ في الدعوة ، عليها يعتمد في دعوته ، ومنها يستقي مادام متبعاً له ، قال تعالى :

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي ﴾ <sup>(٤)</sup> .

---

(١) انظر كلاماً مفيداً مفصلاً في هذا للإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - في كتابه « الرسالة » ص : ( ٩١ و ٩٢ ) ، وانظر « الفقيه والمتفقه » للخطيب البغدادي ( ٨٦/١ - ١٠٤ ) .

(٢) الآية / ٥٩ / من سورة النساء .

(٣) الآية / ٩٢ / من سورة المائدة .

(٤) الآية / ١٠٨ / من سورة يوسف عليه السلام .

## خصائص السنة النبوية :

يمكن للباحث في خصائص السنة النبوية أن يقف على خصائص كثيرة تميزها عن سنة غيره من الناس ، كما يمكن أن تشترك السنة مع القرآن الكريم في عدد من خصائصه ، ولاسيما الخصائص العامة الأولى ، لأنها ترجع في حقيقتها إلى خصيصة الربانية ، لأن الرسول الذي نتحدث عن سنته هو رسول رب العالمين .

## ومن خصائص السنة النبوية :

١ - أنها نوعٌ من الوحي : فالسنة وإن كانت : ماصدر عن رسول الله ﷺ ، فإنما هي شكل من أشكال الوحي ، قال تعالى :

﴿ وما يَنْطِقُ عن الهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (١) .

وهذا النوع من الوحي يختلف عن وحي القرآن الكريم من بعض الوجوه ، من ذلك :

أ - السنة وحي بالمعنى دون اللفظ .

ب - السنة وحي غير متعبد بتلاوته .

ج - السنة لم تثبت جميعها عن طريق التواتر القطعي .

د - السنة غير معجزة بلفظها ، وقد تكون معجزة بمعناها .

ومن مثل هذه الفروق وغيرها ، كانت السنة النبوية ( المصدر الثاني ) من مصادر التشريع من حيث ترتيب المصادر عند اجتماعها ، أما عند

(١) الآيات / ٣ - ٤ / من سورة النجم .

الانفراد ، فكل مصدر من المصادر التشريعية هو الأول في الرجوع إليه ،  
والمصدر الذي لامحيد عنه .

لأنه إذا تعددت المصادر في موقف واحد ، قدم الأفضل والأقوى  
في الذكر والعدّ ، ولاشك في أن كلام الله عز وجل أفضل من كلام غيره ،  
وأن ثبوت القرآن أقوى من ثبوت السنة وهكذا ... وعلى هذا الترتيب  
جرى تقديم طاعة الله في الذكر على طاعة رسوله ﷺ في القرآن ، ومضت  
سنة الصحابة رضوان الله عليهم ، وعليه تعارف علماء الأصول في  
تصنيفهم للأدلة الشرعية جميعها ... (١)

٢ - اتصال السند : وتعني ( اتصال سند السنة الصحيحة به ﷺ  
دون انقطاع ) .

وهذه الخصيصة من خصائص الأمة الإسلامية ، حيث لا تجد الأمم  
الأخرى اليوم سناً متصلاً لأقوال أنبيائها ورسالتها عليهم الصلاة والسلام ،  
وإنما هي أقوال يرويها بعض علمائهم وأخبارهم ورهبانهم عنهم دون  
اتصال ... (٢)

٣ - الحفظ من الضياع : فقد حفظ الله عز وجل سنة نبيه ﷺ من  
الضياع ، بما هيأ لها من صحابة كرام نقلوها عنه لمن بعدهم ، وحفظوها  
كما حفظوا كتاب ربهم ، كما هيأ لها علماء أجلاء كتبوها ودونوها ،

---

(١) استشكل بعضهم جعل السنة في المرتبة الثانية في تعداد المصادر ، متوهماً أن الترتيب  
من حيث الحجية ، ولعل. فيما أثبتته دفعا لهذا الإشكال .

(٢) يقول الإمام ابن حزم - رحمه الله - : « وهذا نقلٌ خصَّ الله عز وجل به المسلمين ، دون  
سائر أهل الملل كلها ، وأبقاه عندهم غصّاً على قديم الدهور مذ أربعمائة عام وخمسين  
عاماً في المشرق والمغرب ، والجنوب والشمال ... » انظر « الفصل » ( ٢٢١/٢ ) تحقيق  
د : محمد إبراهيم نصر ، ود : عبد الرحمن عميرة .

وميزوا الثابت منها عن غيره على مر السنين ، ووضعوا لذلك قواعد وضوابط تضبط قبولها وروايتها ... كما يعرف ذلك في علوم الحديث ... وذلك لأن حفظ السنة من لوازم حفظ القرآن الكريم ، فهي المبيّنة له ، والمفصلة لمجمله ، والتممة لأحكامه كما سبق معنا .

٤ - العصمة من الخطأ في التشريع : وذلك لأن السنة وحي ، والوحي منزّه عن الخطأ ، وجاء في الحديث الشريف عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قوله ﷺ حين أذن له بكتابة الحديث : « اكتب ، فوالذي نفسي بيده ، ما يخرج منه إلا الحق »<sup>(١)</sup> .

وتشمل عصمة السنة ، ما صدر عنه ﷺ باجتهاد في أمور التشريع ، لأن الشارع لا يقره على خطأ فيه ، وإن جاز أن يقره على اجتهادٍ خطأ في أمور الدنيا المبنية على التجارب والخبرات ، لحكمة إظهار جانب البشرية فيه ﷺ<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

---

(١) ساق الحديث المحافظ ابن حجر في الفتح ، وعزاه إلى أحمد وأبي داود ، وقال عنه : « ولهذا طرقت أخرى عن عبد الله بن عمرو يقوي بعضها بعضاً » . « فتح الباري » ( ٢٠٧/١ ) .  
(٢) راجع بحث « عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن الخطأ في الاجتهاد » في كتاب « حجية السنة » للشيخ عبد الغني عبد الخالق ص ( ١٤٥ - ٢٣٩ ) .

### « السيرة النبوية المطهرة »

السيرة النبوية هي : ( تاريخ حياة النبي ﷺ ، وبيان طريقته فيها ) ، لأن السيرة النبوية في اللغة : الطريقة ، والحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره ، يقال : قرأت سيرة فلان : أي تاريخ حياته ، وجمعها سِيرٌ (١) . وبهذا التعريف للسيرة ، تشمل سيرة الرسول ﷺ الشخصية ، كما تشمل شمائله وغزواته ، وجميع تحركاته الدعوية ، وتكون السيرة من هذا الوجه أعم من السنة النبوية في اصطلاح الأصوليين .

وتعدُّ السيرة النبوية المصدر الثالث للدعاة بعد الكتاب والسنة ، وإن كانت في حقيقتها ترجع إلى الكتاب والسنة ، لأنها تطبيق عملي لهما ، وقد رأيت أفرادها عن السنة في المصادر نظراً لما بين السنة والسيرة من عموم وخصوص ، من جهة ، وتقشياً مع اصطلاح العلماء في أفرادها في الدراسة والتصنيف من جهة أخرى .

ولما كان الرسول ﷺ الداعية الأول لهذا الإسلام ، كانت سيرته أوسع مصدر عملي للدعاة ، وكان الكتاب والسنة أوسع المصادر النظرية لهم .

فلا بد للدعاة من دراسة السيرة النبوية وتفهمها والاستفادة منها في ضوء العقل والنقل ، لأنها أعمال وأحوال لا بد لفهمها فهماً صحيحاً من ملاحظة الأعمال والأحوال المرافقة لها ، وقد قصر بعض الدعاة في هذا الجانب ، فاستشهدوا بالسيرة في غير موضعها ، أو فهموها على

(١) انظر « المعجم الوسيط » مادة ( سِير ) ( ١ / ٤٧٠ ) .

غير وجهها ، وفهم السيرة فهماً صحيحاً أمر دقيق قد لا يحسنه إلا العلماء وأهل الاستنباط منهم (١) .

فقد تختلف تصرفاته ﷺ من حال إلى حال ، فيكون بعضها تشريعاً يُقصدُ منه التأسى ، وقد يكون بعضها تصرفات جبلية شخصية ... كما قد تصدر عنه أعمال ﷺ بصفته رسولاً مبلغاً عن الله ، وأخرى بصفته قاضياً يفصل بين المتنازعين ، وثالثة بصفته إماماً وقائداً ، ولكل نوع من هذه التصرفات دلالاته وأحكامه (٢) .

ويكفي في الاستدلال على أهمية السيرة النبوية للدعاة ، قوله تعالى :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً ﴾ (٣) .

### خصائص السيرة النبوية :

إن خصائص السيرة النبوية المطهرة ، ترجع في جانب منها إلى خصائص السنة النبوية ، وبعض خصائص القرآن الكريم ، وذلك لارتباطها بهما ، ولأنها سيرة رسولٍ من رب العالمين ...

(١) انظر الملاحظات التي ختمتُ بها الملامح العامة للدعوة في زمنه ﷺ - الفصل الأول - المبحث الثاني .

(٢) راجع مثل هذه الفروق في كتاب « الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام ، وتصرفات القاضي والإمام » للعلامة القرافي المالكي ، تحقيق أستاذنا الشيخ عبد الفتاح أبو غدة - حفظه الله - وكتاب « زاد المعاد » للإمام ابن القيم ( ٤٨٩/٣ - ٤٩٠ ) تحقيق الشيخ الأرنؤوط ، و « إعلاء السنن » للتهانوي ( ٦٨/١٤ - ٦٩ ) .

(٣) الآية / ٢١ / من سورة الأحزاب .

فهي تشترك معهما في بعض الخصائص الهامة ، وقد تختلف في بعضها الآخر بسبب الجانب البشري في شخصية رسول الله ﷺ وسيرته . أما الجانب الذي يراد به التأسّي ، فلا يختلف عن السنة النبوية في خصائصه .

وسأقتصر في هذا المقام على ذكر ثلاث خصائص للسيرة ، وهي :

١ - الشمول : فقد شملت سيرته ﷺ التي كتب عنها العلماء ، جميع مناحي حياته ، فقد دونوا صفاته كما دونوا جميع أعماله وغزواته ...

والتأمل في كتب السيرة النبوية يرى أنها تكاد أن لاتغادر صغيرة ولا كبيرة في حياته ﷺ إلا وسجلتها في دقة ووضوح ، حتى يجد القارئ لها نفسه وكأنه يُعاينها ويعيش معها ، وذلك منذ ولادته ﷺ إلى حين التحاقه بالملأ الأعلى .

فمن تفصيل لأحوال ولادته ونشأته إلى تسجيل لبعثته ونبوته ، إلى تصوير لشمائله وأخلاقه ، إلى عرض واسع لحركاته وسكناته ، حتى في أموره الخاصة بينه وبين أزواجه ﷺ ... (١)

ولم يعرف التاريخ تسجيل حياة شخص ما بمثل هذا الشمول ! ولكن لا عجب في ذلك ، فإن الذين كتبوا في السيرة - ولاسيما السلف منهم - لم يقصدوا من وراء كتابتها مجرد فائدة علمية ، أو قصة تاريخية فحسب . وإنما سجلوا فيها حياة قدوة للناس كافة ، فاستقصوا

(١) انظر على سبيل المثال : « سيرة ابن إسحاق » و « سيرة ابن هشام » و « سيرة ابن كثير » و « عيون الأثر » لابن سيد الناس و « تاريخ الإسلام للذهبي » ، وما إلى ذلك ...

وفصلوا ودققوا ... فجزاهم الله عن المسلمين خير الجزاء .

٢ - الحفظ : فقد حفظ الله للمسلمين سيرة نبيه ﷺ ، كما حفظ لهم سنته ، لأن في حفظهما حفظاً للقرآن الكريم ، فقد هيا الله للسيرة النبوية الصحابة الكرام الذين نقلوها لمن بعدهم بدقة وأمانة ، وهياً من يهتم بها وسجلها تسجيلاً للنصوص الشرعية ، فحفظت بذلك سيرته ﷺ من الضياع ، وأصبحت في متناول يد كل مسلم ، فهناك المختصرات الموثوقة ، وهناك المصنفات الكبرى والموسوعية فيها . يقول الأستاذ الدكتور : أكرم ضياء العمرى في كتابه « المجتمع المدني في عهد النبوة » :

« فإن الدراسة والمقارنة تكشف عن التطابق بين كتب الحديث وكتب السيرة في كثير من الأسس والتفاصيل معاً ، وهذا من حفظ الله تعالى لسيرة نبيه ﷺ ، لتبقى مناراً يقتدي بها المسلمون في كل عصر ، ومصر ، فكان أن هياً لها جهابذة المحدثين من طبقة التابعين وتلامذتهم لكتابتها في وقت مبكر ، مُستقين أخبارها من الصحابة الذين كانوا شهود عيان ومشاركين في الأحداث ، فلم يقع انقطاع بين الأحداث والتدوين يؤدي إلى الضياع أو التحريف أو التهويل .

وعندما نستعرض أصحاب كتب السيرة نجد معظمهم من المحدثين ، وليسوا من الأدباء والقصاصين ، ولذلك أهميته ، فهم معروفون بالتوثيق ، ولهم مناهج نقدية واضحة ، وأساليبهم جدية بعيدة عن المبالغة والحشو والخيال » (١) .

(١) انظر ص ٢٩ .

٣ - العمليّة : فإن سيرة النبي ﷺ صالحة للتطبيق في كل عصر وكل مكان ، وفي كل جانب من جوانب الحياة ...  
لأنها سيرة بعيدة عن الخيالات والمثاليات ، فمن أراد الاقتداء به ﷺ رجلاً وزوجاً ، وجد في سيرته خير مثال لخير رجل وخير زوج .  
ومن أراد الاقتداء به داعية ومعلماً ، وجد في سيرته سيرة خير الدعاة وقدوة المعلمين ...  
ومن أراد الاقتداء به إماماً وقائداً ، وجد في سيرته خير قدوة في سياسة الأمور وتديرها ...  
ومن هنا : قامت الحجة بها على جميع الناس على مختلف مستوياتهم ، وكانت منارةً واضحةً لكل من أراد الاقتداء به ﷺ ممن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً .  
إلى غير ذلك من خصائص ... (١)

\* \* \*

---

(١) راجع كتاب « الرسالة المحمدية » للسيد سليمان الندوي - مترجم - فهو من أوسع من تكلم في خصائص السيرة النبوية الشريفة .

« سيرة الخلفاء الراشدين »

الخلفاء الراشدون بعد، ﷺ الذين أُجْمِعَ على وصفهم بذلك أربعة ، هم على الترتيب : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي رضي الله عنهم جميعاً ...

وقد سبق معنا حديث أبي داود والترمذي : « خلافة النبوة ثلاثون سنة ... »<sup>(١)</sup> .

فوصفت خلافة هؤلاء الأربعة بخلافة النبوة ، « حتى إن الإمام أحمد وغيره اعتمدوا على هذا الحديث في تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة ، وثبته أحمد ، واستدل به على من توقّف في خلافة علي من أجل افتراق الناس عليه ، حتى قال أحمد : من لم يُرْبِعْ بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله ، ونهى عن مناكحته ، وهو متفق عليه بين الفقهاء ، وعلماء السنة وأهل المعرفة والتصوف ، وهو مذهب العامة »<sup>(٢)</sup>

وهؤلاء الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدون أفضل الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً ، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « ونقل البيهقي في « الاعتقاد » بسنده إلى أبي ثور عن الشافعي أنه قال : أجمع الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبي بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي »<sup>(٣)</sup> .

(١) الحديث قال عنه الترمذي : هذا حديث حسنٌ ، انظر « سنن الترمذي » ( ٢٣٢٦ ) و « تحفة الأحوزي » ( ٤٧٦/٦ ... ) وانظر « سنن أبي داود » رقم ( ٤٦٤٦ ) و ( ٤٦٤٧ ) . ( ٣٦/٥ ) .

(٢) انظر « مجموع فتاوى ابن تيمية » ( ١٨/٣٥ - ١٩ ) .

(٣) « فتح الباري » ( ١٧/٧ ) .

ولمكانة هؤلاء الخلفاء من رسول الله ﷺ وخلافتهم الراشدة كانت سنتهم متبعة كسنة رسول الله ﷺ ، ولا سيما فيما اتفقوا عليه من سنن ، وسنوه للناس من بعدهم (١) .

وقد جاء في الحديث الشريف :

« أوصيكم بتقوى الله ، والسَّمْع والطاعة وإن تأمر عليكم عَبْدٌ ، وإنه من يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرى اختِلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين (٢) ، عَضُوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومُحَدِّثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة » (٣) .

وقد كان لسيرتهم وسنتهم هذه المكانة الخاصة ، لأنهم كانوا إذا عرضت لهم قضية ، نظروا في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، فإن وجدوا فيها شيئاً أخذوا به ، وإن لم يجدوا ، شاوروا مَنْ حولهم من كبار صحابة رسول الله ﷺ في ذلك .

روى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب « القضاء » عن ميمون ابن مهران قال :

« كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ورد عليه الخصم ، نظر في كتاب الله ، فإن وجد فيه شيئاً قضى به ، وإلا ، فإن علم شيئاً عن رسول

---

(١) انظر كلاماً مفيداً في هذا للإمام ابن تيمية في « مجموع الفتاوى » ( ٢٣ / ٣٥ ) .

(٢) مع إجماع الأمة على عد الخلفاء الأربعة من الخلفاء الراشدين ، فقد روي عن بعض السلف عنهم خمسة ، فقد روى أبو داود في سننه عن سفيان الثوري قوله : « الخلفاء خمسة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم جميعاً » رقم ( ٤٦٣١ ) ( ٢٧ / ٥ ) ط الدعاس .

(٣) الحديث رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، انظر سنن الترمذي ( ٢٦٧٨ ) وسنن أبي داود ( ٤٦٠٧ ) .

الله ﷺ قضى به ، فإن أعياه ، خرج فسأل المسلمين : هل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء ؟ فرمى اجتمع إليه نفر كلهم يذكرون عن رسول الله ﷺ فيه قضاء ، فيقول أبو بكر : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ علينا علم نبينا ، فإن أعياه جمع رؤوس الناس وخيارهم واستشارهم ، فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به ، وكان « عمر » رضي الله عنه يفعل ذلك ، فإذا أعياه أن يجد ذلك في الكتاب والسنة ، سأل : هل كان أبو بكر قضى فيه بقضاء ، فإن كان لأبي بكر قضاء قضى به ، وإلا جمع علماء الناس ، واستشارهم ، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به « (١) .

فكانت سنتهم وسيرتهم امتداداً طبيعياً لسنة رسول الله ﷺ وسيرته ، وتطبيقاً عملياً لمنهج الله ورسوله .

ولعل حكمة اعتبار سنتهم كسنة رسول الله ﷺ في الاتباع ، ألا تقتصر أسوة المؤمنين على النبي المعصوم ﷺ ، وإنما تشمل خلفاء الراشدين من بعده ، وحتى لا يتوهم متوهم أن إمكانية تطبيق الإسلام تطبيقاً صحيحاً لا تكون إلا في زمن رسول الله ﷺ ، وتتوقف بوفاته ، فقامت الحجة بسنتهم وسيرتهم كما قامت بسنة رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة .

\* \* \*

(١) نقله عن أبي عبيد، الحجوي في كتابه « الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي »

( ٢٢٨/١ ) ط ونشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

« وقائع العلماء والدعاة في ضوء تلك المصادر »

تُعدُّ تجارب العلماء والدعاة ، وتصرفاتهم في الوقائع الدعوية مصدرًا هاماً من مصادر الداعية ، يُعينه على فهم المصادر السابقة ، واستنباط الأحكام منها ، لأنها تطبيقات عملية لمنهج الله ورسوله .

ومع أهمية هذه الوقائع وعظيم فائدتها ، فإنها تُعدُّ مصدرًا تَبَعِيًّا يستفاد منه في ضوء المصادر الأصلية السابقة ، لأنها اجتهادات بشرية تُخطئ وتُصيب ، فإذا أجمع العلماء على التعامل مع واقعةٍ ما بشكل محدد ، كان عملهم حجةً بسبب الإجماع ، وإن اختلفت آراؤهم واجتهاداتهم فيها ، كانت آراء اجتهادية تُنيرُ الطريقَ لغيرهم ، ولو أصابوا فيها أجراءً واحداً - كما هو شأنهم في الاجتهادات الفقهية - .

وقد أخطأ بعض الناس حين غفلوا عن أهمية هذا المصدر ، فزهدوا به وأعرضوا عن الإفادة منه ، مُستغنين بزعمهم بالكتاب والسنة !!

كما أخطأ آخرون في إنزال هذا المصدر منزلة الكتاب والسنة المنزهين عن الخطأ ، تقديرًا بزعمهم للعلماء واحتراماً لآرائهم واجتهاداتهم !! ، كما وقع من كلا الطرفين ، وما ضاعَ هذا الدين إلا بين الغالي فيه والمُقصر . فليست الدعوة الإسلامية نصوصاً جامدة ، أو أعمالاً وأحكاماً ثابتة ، وإنما هي بجانب النصوص الشرعية والأحكام الفقهية أفهامٌ بشرية ، واستنباطاتٌ علمية ، وموازناتٌ دقيقة لا يُحسُنُها إلا أهلها . ومن لهذه الموازنات والأفهام ، إلا العلماء وراثُ الأنبياء عليهم

الصلاة والسلام ، فقد جاء في الحديث : « العلماء ورثة الأنبياء » (١) .  
ومن هنا : جاء تشبيه العلماء بالنجوم في السماء ، فقد روى  
الحافظ الخطيب البغدادي بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن  
رسول الله ﷺ قال :

« إِنَّ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ ، كَمَثَلِ نَجْمِ السَّمَاءِ ، يُهْتَدَى بِهَا  
فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، فَإِذَا انْظَمَسَتِ النُّجُومُ ، يُوْشِكُ أَنْ تَضِلَّ  
الْهَدَاةُ » (٢) .

وروى ابن النجّار عن أنس رضي الله عنه :

« الْعُلَمَاءُ قَادَةٌ ، وَالْمُتَّقُونَ سَادَةٌ ، وَمَجَالِسُهُمْ زِيَادَةٌ » (٣) .

كما روي :

« الْعُلَمَاءُ مَصَابِيحُ الْأَرْضِ ، وَخُلَفَاءُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَوَرِثَتِي وَوَرِثَةُ

---

(١) الحديث رواه أحمد والأربعة وآخرون ، قال عنه العجلوني : « وصحّحه ابن حبان والحاكم  
وغيرهما ، وحسنه حمزة الكتاني ، وضعفه غيرهم لاضطراب سنده ، لكن له شواهد ... »  
انظر « كشف الخفاء » ( ٨٣/٢ ) .

(٢) انظر « الفقيه والمتفقه » ( ٧٠/٢ ) ، وقف فيه على نقول كثيرة عن السلف في قيمة  
العلماء وبيان ومكانتهم في ( ٣٢/١ ) وما حولها ، وانظر « جامع بيان العلم وفضله »  
لابن عبد البر ( ٦٠/١ ) وما حولها ، وقد روي هذا الحديث في المسند بسند فيه ضعف  
( ١٥٧/٢ ) .

(٣) الحديث : ساقه الخطيب البغدادي بسنده عن علي رضي الله عنه بلفظ « الأنبياء قادة ،  
والفقهاء سادة ، ومجالستهم زيادة » « الفقيه والمتفقه » ( ٣٢/١ ) ، وقال عنه  
العجلوني : « رجاله ثقات » انظر « كشف الخفاء » ( ٨٣/٢ ) ، كما قال عنه الهيثمي :  
« رجاله موثقون » انظر « مجمع الزوائد » ( ١٢٥/١ و ١٢٦ ) وظاهر كلام الهيثمي  
ينصرف إلى الرواية الموقوفة التي ساقها عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وليس إلى هذه  
الرواية فليتنبه لذلك وليبحث .

الأنبياء» (١) ، وما إلى ذلك .

وإن أولى العلماء بالاستفادة من وقائعهم وتصرفاتهم فيها : الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، لأنهم أعلم الناس بالمنهج الرياني ، والأسلوب الحكيم ، وذلك لصحبتهم لرسول الله ﷺ ، ومعايشتهم لسيرته الدعوية ، مما جعلهم خير الناس ، وجعل لهم منزلة خاصة عند علماء الأمة ، حتى جعل بعضهم قول الصحابي حجةً ودليلاً .

ثم يأتي بعدهم التابعون لهم بإحسان من علماء القرون الأولى ، الذين أخذوا عن الصحابة واهتدوا بهديهم ...  
ثم يأتي من بعدهم علماء الأمة ودعاتها على مختلف العصور ، الذين لا تخلو الأمة من أمثالهم ، جزاهم الله جميعاً عن المسلمين خير الجزاء .

وإن كتب التراجم والسير حافلة بمثل هذه الوقائع والتجارب المفيدة (٢) .  
ومع الاعتراف بأولوية وأهمية وقائع علماء السلف ودعاتهم ، فإنه لا ينبغي للدعاة أن يزهدوا بوقائع علماء عصرهم ، وتجارب الدعاة المعاصرين ، فقد يكون فيها من الوقائع والأحداث ما يشابه وقائع العصر الذي يعيشون

---

(١) الحديث ذكره العجلوني وقال : « رواه ابن عدي عن علي رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح كما قال المناري » ، انظر « كشف الخفاء » ( ٨٤/٢ ) . ولعل هذا وهم من العجلوني ، ففي « فيض القدير » ( ٣٨٤/٤ ) السطر السابع : جاء التصحيح لحديث آخر سابق ، وليس لهذا الحديث ، فليتنبه لذلك وليبحث .

(٢) انظر على سبيل المثال « الإصابة » لابن حجر ، و « أسد الغابة » لابن الأثير ، و « حياة الصحابة » لمحمد يوسف الكاندهلوي ، و « صفة الصفوة » لابن الجوزي ، و « سير أعلام النبلاء » للذهبي ... كما يستفاد في هذا الموضوع من كتب مذكرات الدعاة والعلماء ، و « الموسوعة الحركية » لفتحي يكن ، وغيرها من كتب التراجم على مختلف العصور .

فيه ، وما هو أكثر مطابقة لها ، فكلما تقاربت العصور تشابهت الوقائع والأحداث فيها ، والعلماء المؤثقون في كل عصر ، هم أدرى الناس باحتياجات عصرهم ، وبالأساليب النافعة فيه ، فلا يغني شيء عن شيء ، والله أعلم .

\* \* \*

# المبحث الثاني

## « أركان الدعوة »

تعريفها :

الأركان في اللغة : جَمْعُ ركن ، وهو : أحد الجوانب التي يستند إليها الشيء ، ويقوم بها ، وهو : جزء من أجزاء حقيقة الشيء ، يقال : ركن الصلاة وركن الوضوء <sup>(١)</sup> .  
والركن في الاصطلاح :

« ما يقوم به ذلك الشيء ، مِنْ التَّقْوَم ، إذ قوام الشيء بركنه ، لا من القيام ... » <sup>(٢)</sup> .

ومما سبق يمكننا تعريف أركان الدعوة بأنها « الأجزاء التي تمثل حقيقة الدعوة ، ولاتقوم الدعوة إلا بها » وهي ثلاثة :

أ - الداعي .  
ب - المدعو .  
ج - موضوع الدعوة .

(١) انظر « المعجم الوسيط. » مادة ( ركن ) ( ١ / ٣٧٢ ) .

(٢) « التعريفات » للجرجاني ، ص : ١١٢ .

## « الداعي »

وقد سبق معنا تعريفه في التمهيد بأنه :

« المَبْلُغُ للإسلام ، والمعلّم له ، والساعي إلى تطبيقه » ، فهو القائم بالدعوة ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ (١) .

## أهمية الداعي وفضله :

يمكننا الوقوف على أهمية الداعي وفضله من عدة جوانب :

١ - من حيث موضوعه الذي يدعو إليه : فهو داعية إلى الله ، يدعو إلى رضائه وجنته ، قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ، وَقَالَ إِنِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) .  
وقال أيضاً :

﴿ وَيَا قَوْمِ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ \* تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَفَّارِ ﴾ (٣) .

(١) الآيات / ٤٥ - ٤٦ / من سورة الأحزاب .

(٢) الآية / ٣٣ / من سورة فصلت .

(٣) الآيات / ٤١ - ٤٢ / من سورة غافر .

٢ - من حيث وظيفته : فإن وظيفة الداعية أشرف الوظائف على الإطلاق ، لأنها عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أشرف البشر . وإن عظم الوظيفة تدل على عظم صاحبها ، قال تعالى :

﴿رُسُلًا مَبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ (١) .

٣ - من حيث أجره وثوابه : فقد وعد الله عز وجل الدعاة إليه بالأجر الكبير ، والفضل العظيم ، فقد جاء في الحديث الشريف :

« من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا يَنْقُصُ ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه ، لا يَنْقُصُ ذلك من آثامهم شيئاً » (٢) .

وجاء في الحديث الآخر :

« فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَمِ » (٣) .

إلى غير ذلك من نصوص شرعية تبين عظيم ثواب الداعية على عمله... (٤)

---

(١) الآية / ١٦٥ / من سورة النساء .

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه ، انظر « صحيح مسلم » رقم ( ٢٦٧٤ ) .

(٣) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم ( ٣٧٠١ ) ( ٧٠/٧ ) و « صحيح مسلم » رقم ( ٢٤٠٦ ) .

(٤) راجع رسالة « وجوب تبليغ الدعوة - فضل الدعوة والداعية - » للشيخ عبد الله ناصح علوان - نشر دار السلام - .

## صفاتُ الداعي وآدابه :

لما كانت الدعوة إلى الله عمَل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأتباعهم ، كان لا بد للقائم بها من التحلي بصفات أساسية وآداب ضرورية ليكون أهلاً لهذا العمل ، وتكون دعوته مثمرة ،

ونظراً لعدم الفرق العلمي الدقيق بين الصفات والآداب ، رأيت أن أسرد أهم الصفات والآداب الضرورية للداعية دون تفریق بينهما من جهة ، ودون تفصيل لهذه الصفات والآداب وأدلتها من جهة أخرى ، تمشياً مع طبيعة المدخل .

ويمكن لمن أحب التفصيل في ذلك أن يرجع إلى كتب الأخلاق والآداب ، فهي حافلة بالصفات الكريمة ، والأدلة عليها <sup>(١)</sup> .

### ١ - الإيمان العميق بما يدعو إليه :

فإنه بقدر إيمان الداعية بدعوته ، وتفهمه لضرورتها وحاجة الناس إليها ينجح في دعوته ، ويقدر ضعف هذا الإيمان ، والنظر إليها بأنها مهمة ثانوية يتهاون فيها ، ويتكل فيها على غيره ، ويتعثر في طريقه ، ويعطيها من فضل وقته ...

قال تعالى :

---

(١) يراجع على سبيل المثال : كتاب « الأدب المفرد » ، و « الآداب الشرعية » لابن مفلح ، و « غذاء الألباب » للسفاريني ، و « إحياء علوم الدين » للغزالي ، و « الأخلاق الإسلامية » للشيخ : عبد الرحمن حبنكة الميداني . وغيرها من كتب الأخلاق والآداب . وانظر رسالة « صفات الداعية النسبية » للشيخ عبد الله علوان ، نشر دار السلام .

﴿ يَا حَيُّ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ... ﴾ (١) وقال أيضاً :

﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ، وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ (٢) .

وقد كان تصميم رسول الله ﷺ على المضي في الدعوة تصميماً

قوياً يقطع جميع أنواع التردد والمساومات .

فقد ورد « أن قريشاً جاءت إلى أبي طالب فقالوا : إن ابن أخيك

يؤذينا في نادينا وفي مسجدنا ! فأنهه عن أذنا ، فقال : يا عقيل ائتني

بمحمد ، فذهبت فأتيته به ، فقال : يا ابن أخي : إن بني عمك زعموا

أنك تؤذيهم في ناديتهم وفي مسجدهم ، فأنته عن ذلك . قال : فَحَلَّقْ

رسول الله ﷺ إلى السماء ، فقال : أترون هذه الشمس ؟ قالوا : نعم ،

قال : « ما أنا بأقدر على أن أدع لكم ذلك ، على أن تستشعلوا لي منها

شعلة » قال : فقال أبو طالب : ما كذبنا ابن أخي ، فارجعوا » (٣) .

ومن هنا ، وقف الرسول ﷺ يَتَبَيَّنُ يوم « بدر » مواقف أصحابه

الذين خرجوا معه ، قبل أن يقدم على المعركة (٤) ، ليعلم مدى عزمهم

وتصميمهم ...

---

(١) الآية / ١٢ / من سورة مريم .

(٢) الآية / ١٤٥ / من سورة الأعراف .

(٣) الحديث ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ( ١٥ / ٦ ) ، وعزاه إلى « مسند أبي يعلى »

وقال : ورجاله رجال الصريح ، كما عزاه إلى « المعجم الكبير والوسط » للطبراني . ويُفضّل

الاستدلال به بدلاً من الاستدلال بالرواية المشهورة التي فيها : « يا عم ، والله لو وضعوا

الشمس في يميني ، والقمر في يساري ... الخ » التي رواها ابن إسحق عن يعقوب ابن

عتبة - أحد ثقات أتباع التابعين - مُعْضَلَةٌ ، وإن كان أصلها مرصولاً - كما ذكر

الهيثمي - وانظر « سيرة ابن هشام » ( ٢٦٦ / ١ ) .

(٤) راجع « سيرة ابن هشام » ( ٦١٤ / ١ ) .

## ٢ - الاتصال الوثيق بمن يدعو إليه :

فالداعية أحوج من يكون إلى الاتصال الوثيق بالله عز وجل ،  
ليستمد منه العون والتوفيق .

ومن مظاهر هذه الصلة الوثيقة بالله :

أ - إخلاص النية له سبحانه في دعوته ، فلا يرجو من ورائها إلا  
رضاه ، ولا يتطلع من خلالها إلى مكاسب شخصية ، أو منافع دنيوية ،  
أو يتخللها شيء من الرياء ...

وإن أي غفلة عن الإخلاص ، قد تُحوّلُ القصدَ ، وتُفسد النيةَ ،  
فيضيع العمل ويحبط الأجر ، كما حدث للثلاثة الذين هم أول من تُسعرَ  
بهم جهنم ، وهم : عالم ، ومنفق ، ومُقاتِل (١) .

ب - محبة الله عز وجل ، والإكثار من عبادته وذكره ، لأن  
الداعية الوثيق الصلة بالله ، يحرص على طاعته ، والتقرب إليه ، بل  
يحرص على النوافل حرصه على الواجبات ، ويتجنب المكروهات اجتنابه  
للمحرمات ، ويزيد من القربات والطاعات حتى يتولاه الله في شؤونه  
جميعها ،

فقد جاء في الحديث الشريف :

« ... وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ،  
وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه  
الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله

(١) انظر الحديث الذي رواه الإمام مسلم وغيره في ذلك ، « صحيح مسلم » ( ١٩٠٥ ) .

التي يمشي بها ، وإن سألتني لأعطيَنه ، ولئن استعاذ بي لأعيذَنه ...» (١) .  
إلى غير ذلك من مظاهر الصلة الوثيقة بالله عز وجل (٢) .

### ٣ - العلم والبصيرة بما يدعو إليه :

لأن أهل العلم هم الذين يستطيعون القيام بحق الدعوة حق القيام ،  
وذلك بما أوتوا من ميراث رسول الله ﷺ ، ومن بصيرة بدينهم ، وما أكثر  
ما يسيء الجاهل إلى دعوته من حيث لا يشعر ، قال تعالى :

﴿ قُلْ هل يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

وقال : ﴿ قُلْ هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة ، أنا  
ومن أتبعني ﴾ (٤) .

وانظر ما فعله العابد على جهل بالذي قتل تسعة وتسعين نفساً ،  
ثم جاء يسأله عن التوبة ... (٥)

### ٤ - العَمَلُ بِالْعِلْمِ وَالِاسْتِقَامَةُ فِي السُّلُوكِ :

فلا خير في داعية لا يوافق علمه عمله ، ولا يستقيم سلوكه ، وإن

(١) الحديث رواه البخاري ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٦٥٠٢) (١١/٣١٤) .

(٢) راجع في ذلك كتاب « الدعوة إلى الإسلام وأركانها » وكتاب « الإيمان : خصائصه  
وثمراته » للوالد الشيخ أحمد عز الدين البيبانوني - رحمه الله - .

(٣) الآية / ٩ / من سورة الزمر .

(٤) الآية / ١٠٨ / من سورة يوسف عليه السلام .

(٥) انظر الحديث المتفق عليه في « صحيح البخاري مع الفتح » رقم ( ٣٤٧٠ ) ( ٦ / ٥١٢ )

وفي « صحيح مسلم » رقم ( ٢٧٦٦ ) .

من أخطر ما يصاب به الدعاة انفصالَ علمهم عن عملهم ، قال تعالى :  
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ \* كَبُرَ مَقْتًا  
عند الله أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١) .

كما قال على لسان نبيه شعيب عليه السلام :  
﴿ وما أريدُ أَنْ أُخَالِفَكُم إِلَى مَا أَنْهَاكُم عَنْهُ ، إِنْ أُرِيدُ إِلَّا  
الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ، وما توفيتني إلا بالله ، عليه توكلتُ وإليه  
أُنِيبُ ﴾ (٢) .

وإن من أثر انفصال العلم عن العمل في الدنيا : أن يقول المدعوون :  
لو كان هذا صادقاً فيما يدعوننا إليه ، لطبق ذلك على نفسه وعلى من  
يلوذ به ، وكان أسرع الناس إليه ... وما أضعف موقف الداعية الذي  
يتحدث عن محاسن الإسلام وصلاحية تطبيقه في كل زمان ومكان ، ثم  
لا يرى أثر ذلك في نفسه وأسرته !! فإن لسان الحال أبلغ من لسان المقال .  
ويكفي في أثر ذلك في الآخرة ، أن يصبح مصير هذا الداعية ،  
مصيرَ ذلك الذي تندلق أقتاب بطنه في النار ، فقد جاء في الحديث  
الشريف :

« يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ  
بَطْنِهِ ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ فِي الرُّحَا ، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ  
فَيَقُولُونَ : يَا نَلَانَ مَالِكَ ؟ أَلَمْ تَكُ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ؟

(١) الآيات / ٢ - ٣ / من سورة الصف .

(٢) الآية / ٨٨ / من سورة هود عليه السلام .

فيقول : بلى ، كنت أمر بالمعروف ولا آتبه ، وأنهى عن المنكر وآتبه « (١) .

## ٥ - الوَعْيُ الكامل :

وهو إدراك ما يحيط بالدعوة ، فلا يغني العلم عن الوعي ، فلا بد للداعية من وعي شامل بعدة أمور :

أ - بواقع الدعوة ومتطلباتها في عصره .

ب - بواقع المدعوين من حوله .

ج - بواقع الداعية نفسه ، وما يحيط به من ظروف وأحوال .

فإذا لم يَعم الداعية هذه الأمور ، تخبط في دعوته ، وجرَّ إليها النكبات والكوارث من حيث يريد الإصلاح ، شعر بذلك أو لم يشعر ، فعلى أساس هذا الوعي : توضع الخطط ، وتُحدَّد الأولويات ، وتُعقَد الموازنات ، وبالوعي تكتمل بصيرة الداعية بدعوته .

## ٦ - الحكمة في الأسلوب :

فعمد الداعية أن يكون حكيماً في أسلوب دعوته ، يختار لمن يدعوهم الأسلوب الحسن المناسب ، فيضع كل أسلوب في محله ، والحكيم هو من يحسن الاختيار ، ويضع الشيء في محله . قال تعالى :

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ

خَيْراً كَثِيراً ﴾ (١) . وقال :

(١) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري : ج ١ : ص ٣٣١ / ٦ » ( ٢٢٦٧ )

« صحيح مسلم » رقم ( ٢٩٨٩ ) .

(٢) الآية / ٢٦٩ / من سورة البقرة .

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ  
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١) . وسيأتي معنا مزيد بيان لأوجه الحكمة في  
الفصل المتعلق بالمناهج والأساليب والوسائل - إن شاء الله - .

## ٧ - التخلق بالخلق الحسن :

إذا كان الاتصال الوثيق بالله عز وجل أهم صفةٍ في جانب صلة  
الداعية بالله ، فإن التخلق بالخلق الحسن أهم صفةٍ في جانب صلة  
الداعية بالمدعويين . وقد وصف الله عز وجل الداعية الأول رسول الله ﷺ  
بقوله :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) ، وبين له أهمية الخلق بقوله :  
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ  
لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، وَشَاوِرْهُمْ فِي  
الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٣) .  
ووصف الصحابة رسولنا ﷺ بأنه كان أحسن الناس خلقاً (٤) .  
وبين لنا رسول الله ﷺ مكانة الخلق الحسن ، فقال :

(١) الآية / ١٢٥ / من سورة النحل .

(٢) الآية / ٤ / من سورة القلم .

(٣) الآية / ١٥٩ / من سورة آل عمران .

(٤) كما ورد في الحديث المتفق عليه عن أنس رضي الله عنه ، انظر « صحيح البخاري مع  
الفتح » رقم ( ٦٢٠٣ ) ( ١٠ / ٥٨٢ ) ، وانظر « صحيح مسلم » رقم ( ٢١٥٠ ) ،  
وانظر « شرح مسلم للنووي » ( ٧٠ / ٧١ ) .

« أكمل المؤمنين إيماناً ، أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم »<sup>(١)</sup>  
وقال :

« ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ،  
وإن الله يبغض الفاحش البذي »<sup>(٢)</sup> .

وكان آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ معاذاً حين أرسله إلى اليمن ،  
أن قال له :

« أَحْسِنْ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ ، يامعاذ بن جبل »<sup>(٣)</sup> .

فعلى الداعية أن يجاهد نفسه للتخلي بالأخلاق الحسنة ، والتخلي  
عن الأخلاق السيئة ، فإن العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، وجاء في الحديث  
الشريف :

« وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعْفُهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَفِنِ يُغْنِهِ اللَّهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ  
يَصْبِرْهُ اللَّهُ ... »<sup>(٤)</sup> .

والأخلاق الحسنة كثيرة فصلها علماء الأخلاق في مصنفاتهم ،  
فليرجع إليها ، ولتجاهد النفوس على التحلي بها .

---

(١) الحديث رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح . انظر « سنن الترمذي » رقم (١١٦٢) .

(٢) الحديث رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح . انظر « سنن الترمذي » رقم (٢٠٠٣) -  
(٢٠٠٤) .

(٣) الحديث أخرجه مالك في « الموطأ » باب حسن الخلق رقم (١) ، انظر « موطأ مالك »  
ص (٥٦٣) ط : كتاب الشعب .

(٤) هذا جزء من حديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٦٤٧٠) .

(١١ / ٣٠٣) و « صحيح مسلم » رقم (١٠٥٣) .

## ٨ - إحصان الظن بالمسلمين :

على الداعية أن يحسن الظن بالمسلمين جميعاً ، وأن يُجري أحكامه فيهم على الظاهر ، ويكل أمر السرائر إلى الله تعالى ، قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ، إن بعض الظن إثم ... ﴾ (١) .

وجاء في الحديث الشريف :

« إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ... » (٢) ، وجاء فيه أيضاً :

« حسن الظن من حسن العبادة » (٣) .

ولا يستلزم إحصان الظن بالناس الغفلة عن واقعهم ، والسكوت عن أخطائهم ، ولكنه قد يستلزم حَمْلَ أقوالهم وأفعالهم على الأصلح .

كما لا يتعارض حسن الظن مع الحذر ، قال تعالى : ﴿ إن من

أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ﴾ (٤) وقال : ﴿ وأطيعوا

الله وأطيعوا الرسول واحذروا ﴾ (٥) وقد اشتهر عن عمر بن الخطاب

(١) الآية / ١٢ / من سورة الحجرات .

(٢) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم ( ٥١٤٣ ) و « الفتح » ( ١٩٨/٩ ) و « صحيح مسلم » ( ٢٥٦٣ ) .

(٣) الحديث رواه أبو داود رقم ( ٤٩٩٣ ) و ( ٢٩٨/٤ ) ط : محيي الدين عبد الحميد ، وانظر « فيض القدير » للمناوي ( ٣٨٥/٣ ) .

(٤) الآية / ١٤ / من سورة التغابن .

(٥) الآية / ٩٢ / من سورة المائدة .

رضي الله عنه ، قوله :

« لست بالْحَبِّ ، ولا الحَبُّ يخدعني » (١) .

## ٩ - أن يَسْتُرَ على الناس عيوبهم :

قال تعالى :

﴿ إن الذين يُحِبُّون أن تَشِيعَ الفَاحِشَةُ في الذين آمنوا ، لهم عذابٌ أليمٌ في الدنيا والآخرة ﴾ (٢) .

وجاء في الحديث الشريف :

« لا يَسْتُرُ عبدٌ عبداً في الدنيا ، إلا ستره الله يوم القيامة » (٣) .  
فإن الداعي في دعوته مثله مثل الطبيب في مهنته ، قد يطلع على بعض العورات ليعالجها ، فيجب عليه سترها وعدم فضح صاحبها .

## ١٠ - أن يخالط الناس حيث تحسن الخلطة ، ويعتزلهم

حيث يحسن الاعتزال :

فإن من مستلزمات عمل الداعية مخالطة الناس لدعوتهم إلى الخير ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وقد جاء في الحديث الشريف :  
« المؤمن الذي يخالط الناس ، ويصبر على أذاهم ، أفضل من

---

(١) « سراج الملوك » للطرطوشي ص ( ٥٦ ) نقله عنه كتاب « أخبار عمر » للطنطاوين ص ( ٢٦٦ ) الطبعة الثامنة .

(٢) الآية / ١٩ / من سورة النور .

(٣) الحديث رواه مسلم ، « صحيح مسلم » رقم ( ٢٥٩٠ ) .

المؤمن الذي لا يخالط الناس ، ولا يصبر على أذاهم « (١) .  
وللخلطة شروط وآداب يبينها العلماء ، لا بد من ملاحظتها (٢) ، قال  
تعالى :

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا ، فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى  
يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ (٣) .  
وقال أيضاً :

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ  
بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا ، فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ  
غَيْرِهِ ، إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ ﴾ (٤) .

وقد بين رسول الله ﷺ أن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل ،  
كان من وراء الخلطة غير المنضبطة لأصحاب المعاصي والمنكرات (٥) .  
ولا يخفى على عاقل ما يفعله الأطباء المعالجون للمرضى من  
الاحتياطات والتحفظ من أمراض الناس مخافة التلوث بها ، وانتقالها  
إليهم ...

---

(١) رواه أحمد والترمذي وغيرهما ، وهو حديث صحيح ، انظر تعليق رباح والدقاق على  
« رياض الصالحين » ص ٢٨١ .

(٢) راجع باب « فضل الاختلاط بالناس ... الخ ... » في « رياض الصالحين » ص ٢٨١ .

(٣) الآية / ٦٨ / من سورة الأنعام .

(٤) الآية / ١٤٠ / من سورة النساء .

(٥) انظر الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي ، وقال : حديث حسن ، « من أبي داود » رقم  
( ٤٣٣٦ ) والترمذي ( ٣٠٥٠ ) .

## ١١ - أن يُنزلَ الناس منازلهم ، ويعرف لأهل الفضل فضلهم :

ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها : « أمرنا رسول الله ﷺ أن نُنزلَ الناسَ منازلهم »<sup>(١)</sup>. وفي الحديث الآخر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده :

« قال : قال رسول الله ﷺ : ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف شرفَ كبيرنا »<sup>(٢)</sup> .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من إجلال الله تعالى ، إكرامَ ذي الشيبة المسلم ، وحاملِ القرآن غير الغالي فيه ، والجافي عنه ، وإكرامِ ذي السلطانِ المُقسط »<sup>(٣)</sup> .

فعلى الداعية ملاحظة مستويات الناس وتفاوتها ، وأن ينزل الناس منزلتهم ، « فإنما يعرف الفضل لأهل الفضل أهلُ الفضل »<sup>(٤)</sup> .

---

(١) الحديث رواه مسلم تعليقاً في مقدمة صحيحه ، وقال عنه العجلوني بعد أن ذكر له طرقاً : « وبالجملة فحديث عائشة حسن ، وقال في التمييز : وذكره الحاكم أبو عبد الله في كتابه معرفة علوم الحديث ، وقال : حديث صحيح » « كشف الخفاء » (١/٢٢٤ و ٢٢٥) .

(٢) الحديث : رواه أبو داود والترمذي وغيرهما ، وقال عنه الترمذي : حسن صحيح ، انظر « سنن الترمذي » ( ١٩٢١ ) وأبي داود ( ٤٩٤٣ ) .

(٣) الحديث : رواه أبو داود ، رقم ( ٤٨٤٣ ) ، وحسنه النووي والعراقي وابن حجر ، انظر « رياض الصالحين » ص ٧٣ ، وتعليقات رباح والدقاق .

(٤) روي هذا القول حديثاً من طريقين ، قال عنهما العجلوني في « كشف الخفاء » (١/٢٥٠) : « والحديثان ضعيفان ، ولكن المعنى صحيح كما قاله السخاوي ... » .

١٢ - أن يتعاون مع غيره من الدعاة ، ويشاورهم ويتناصح معهم :

قال تعالى :

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم

والعدوان ﴾ <sup>(١)</sup> ، وإن العمل الدعوي من أعظم أوجه البر الذي

يتطلب التعاون والتشاور والتناصح ، قال تعالى :

﴿ وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وفي الحديث الشريف :

« الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ،

ولأئمة المسلمين وعامتهم » <sup>(٣)</sup> .

وإن العمل بهذا الأدب الدعوي يُعمقُ المحبة بين الدعاة ، ويدفع

الشرور عنهم ، ويعالج إعجاب كل ذي رأي برأيه .

إلى غير ذلك من صفات وآداب دعوية لاتخفى على العالم البصير ،

والداعية الحريص ... ولا بد لتحصيل مثل هذه الصفات والآداب من

مجاهدة قوية مستمرة ، قال تعالى :

﴿ والذين جاهدوا فينا ، لنهدينهم سبيلنا ، وإن الله لَمَعَ

المحسنين ﴾ <sup>(٤)</sup> .

(١) الآية / ٢ / من سورة المائدة .

(٢) الآية / ٣٨ / من سورة الشورى .

(٣) الحديث رواه مسلم وغيره ، انظر « صحيح مسلم » ( ٥٥ ) .

(٤) الآية / ٦٩ / من سورة العنكبوت .

## إعداد الداعية :

لابد لتكوين الدعاة ، وتربيتهم على الصفات الكريمة ، والآداب الحميدة التي سبق ذكرها من إعداد خاص للقيام بوظيفتهم على أحسن وجه .

ولعل من أبرز معالم هذا الإعداد :

- ١ - العناية بتنشئتهم على تعلم أحكام الإسلام ، وخصائصه وآدابه ، وتسليحهم بجميع المستلزمات الدعوية ...
  - ٢ - العناية بمدارسة القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والسيرة معهم على وجه يراد منه التلقّي والتأسي والاتباع ...
  - ٣ - العناية بصحبة العلماء العاملين ، والدعاة الريانيين ، والمريّن الصادقين ، ليقتبسوا من هديهم ، ويستفيدوا من خبراتهم وأساليبهم ...
  - ٤ - تعميق معاني الأخوة الإيمانية فيما بينهم ، ليتبادلوا حقوقها ، ويشعروا بفائدتها .
  - ٥ - العناية بمدارسة التطبيقات الدعوية ، ومناقشة الأخطاء لتلافيها والإفادة منها .
- وما إلى ذلك من معالم لاتخفى على المهتمين ...

\* \* \*

« المدعو »

تعريفه : سبق أن عرفنا المدعو في التمهيد بأنه :  
« مَنْ تُوِّجَّهَ إِلَيْهِ الدَّعْوَةُ » وهو الإنسان مطلقاً قريباً أو بعيداً ،  
مسلماً أو كافراً ، ذكراً أو أنثى ...  
ولا يمنع هذا التعميم في تعريفه ، أن يكون الأقربون من الداعية  
أولى الناس بالدعوة ، وأحق بها من غيرها ، فالأقربون أولى بالمعروف ،  
قال تعالى :

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (١) .

وأقرب الأقربين إلى الداعية نفسه التي بين جنبيه ، قال تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٢) .

ثم أهله وأسرته ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ... ﴾ (٣)

وقال :

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ... ﴾ (٤) .

ثم يأتي جميع الأقارب والأرحام ، الأقرب فالأقرب ، ثم يعم الأمر  
الجيران وغيرهم من الناس .

(١) الآية / ٢١٤ / من سورة الشعراء .

(٢) الآية / ٩ - ١٠ / من سورة الشمس .

(٣) الآية / ٦ / من سورة التحريم .

(٤) الآية / ١٣٢ / من سورة طه .

وقد أسهبت في بيان هذا التفصيل والترتيب دفعا للغفلة التي يقع فيها كثير من الدعاة اليوم ، حيث يُشغلون بدعوة الآخرين عن دعوة أنفسهم ، أو يهتمون بدعوة الأبعاد أكثر من دعوة الأقارب .  
قال تعالى :

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ، وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ! ﴾ (١) .

### حَقُّ الْمَدْعُو :

إن للمدعو حقوقاً ، كما أن عليه واجبات ، ولعل أهم حق للمدعويين في عنق الدعاة :

أن يُقصدوا ويُدعوا ، أو يُرسل إليهم ، وأن لا تكون الدعوة لهم عَرَضاً أو مصادفة ... كما أن من حقوقهم : أن يُحرص عليهم جميعاً ، ولا يُستهان بواحد منهم أياً كان شأنه ...

فقد أرسل الله عز وجل رسله إلى الناس ، إعطاءً لحقهم من جهة ، وإقامة للحجة عليهم من جهة أخرى .

لذا ، قرر الشارع عدم تعذيب قوم حتى تقام الحجة عليهم ، ويُعطوا حقهم في الدعوة ، قال تعالى :

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (٢) .

وقد قام رسول الله ﷺ بوفاء هذا الحق ، فبشر وأنذر ، وخرج أصحابه بعده بالدعوة ، فنشروا الدين في الآفاق ، وأقاموا الحجة على

(١) الآية / ٤٤ / من سورة البقرة .

(٢) الآية / ١٥ / من سورة الإسراء .

الناس كافة . فإن الأمة المسلمة لم توجد لنفسها ، وإنما وُجِدَتْ لتُنقِذ  
الناس من الظلمات إلى النور ، فكانت الأمة الداعية ،  
قال تعالى :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ  
عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١) .

ولم يفرق رسول الله ﷺ في عرض دعوته وتبليغها للناس بين كبير  
وصغير ، وذكر وأنثى ، وقريب وبعيد ،  
ولم تشغله دعوته للأقارب عن دعوة الأبعد ، ودعوته لعامة  
الناس عن دعوة زعمائهم ورؤسائهم ، ودعوة الأقوياء عن دعوة الضعفاء ،  
ولما وقع في شيء من ذلك اجتهداً منه ﷺ في تقديم الأولويات ذُكِرَ  
في ذلك ، فقال سبحانه :

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى \* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى \* وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يَزْكَى \*  
أَوْ يَذْكُرُ فِتْنَعَهُ الذِّكْرَى ﴾ (٢) فما كان منه ﷺ بعد ذلك أن يزهد  
بأحد ، حتى إنه لما لقيَ عند العقبة ستة نفر من الخزرج وهم يحلقون  
رؤوسهم ، لم يزهد بهم وهم على هذه الحال ، فأقبل إليهم وعرض عليهم  
دعوته ، فكانوا النواة الأولى لبيعة العقبة ، في الوقت الذي أعرض فيه  
عنه كثير من الرجال وزعماء القبائل ... (٣)

(١) الآية / ١١٠ / من سورة آل عمران .

(٢) الآيات / ١ - ٤ / من سورة عبس .

(٣) أخرج هذا الخبر أبو نعيم في « الدلائل » ص ( ١٠٥ ) ، ونقله الشيخ محمد يوسف  
الكاندهلوي في كتابه : « حياة الصحابة » ( ١٠٤ / ١ ) تحقيق الشيخ نايف العباس ،  
ومحمد علي دولة .

## واجب المدعو :

إن أهم واجب على المدعو تجاه الدعوة :

أن يستجيب لدعوة الحق ، فلا يمنعه من الاستجابة مانع ، سواء أكان عادةً اعتادها ، أم جهلاً أم كِبَراً في نفسه ، أم ضعفاً في شخص الداعي ، أم تقصيراً فيه ، وما إلى ذلك ...

قال الله تعالى في وصف المؤمنين :

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ

بَيْنَهُمْ ، أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

كما قال في وصف الكافرين :

﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ... ﴾ (٢) .

وقد أمر الله عباده المؤمنين بالاستجابة للحق فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا

يُحْيِيكُمْ ... ﴾ (٣) .

وإذا كان من حق المدعو أن يدعى ، ولا يُهمل ، فإن من واجبه أن

يستجيب فلا يُعْرِض .

## أصناف المدعوين :

ينقسم الناس بعد أن تُوجَّه إليهم الدعوة ، فيستجيب لها من يستجيب ،

(١) الآية / ٥١ / من سورة النور .

(٢) الآية / ٤٦ / من سورة النساء .

(٣) الآية / ٢٤ / من سورة الأنفال .

ويعرض عنها من يعرض إلى أصناف متعددة ،

قال تعالى :

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ  
وَمُنذِرِينَ ، وَأُنزِلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا  
اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ  
البيِّنَاتُ بَغْيًا بينهم ، فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لما اختلفوا فيه من  
الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١) .

فيكون الناس بين مهتد وضال ، ومستجيب ومعرض ، كما يكون  
منهم من يتظاهر بالهداية وهو على كفره ، قال تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَمَاهُمْ  
بِمُؤْمِنِينَ \* يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ  
وَمَا يَشْعُرُونَ \* فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ  
أَلِيمٌ بما كانوا يكذبون ﴾ (٢) .

وقد جاء في أوائل سورة البقرة ذكر ثلاثة أصناف من الناس :  
المؤمنين - والكافرين - والمنافقين .

وَمِنْ تَتَّبِعِ النُّصُوصَ الشَّرْعِيَّةَ الْوَارِدَةَ فِي أَصْنَافِ النَّاسِ ، نَسْتَطِيعُ  
تقسيم المدعويين إلى صنفين أساسيين ، هما :

أ - المسلمون أو المؤمنون : وهم المعروفون في الاصطلاح الدعوي

(١) الآية / ٢١٣ / من سورة البقرة .

(٢) الآية / ٨ - ١٠ / من سورة البقرة .

بأمة ( الاستجابة ) ، وهم أصناف متعددة - كما سيأتي معنا -  
ب - الكافرون أو ( غير المسلمين ) : الذين يدخلون في الاصطلاح  
في ( أمة الدعوة ) ، وسيأتي معنا تصنيفهم أيضاً .

## أ - أصناف المسلمين :

يمكننا تصنيف المسلمين من حيثيتين :

١ - من حيث الاهتداء والضلال .

٢ - من حيث قوة أو ضعف التزامهم بالإسلام .

فمن الحيثية الأولى ينقسمون إلى : ( مسلمون مهتدون ) ، و ( مسلمون ضالون ) ، وهذا التقسيم غالباً ما يستعمل في مقام الحكم على العقائد ، وبيان سلامتها ، وذلك لأن المسلم قد يضل في عقيدته ضلالاً لا يخرج به عن الملة الإسلامية ، كأن يكون صاحب بدعة خطيرة في العقيدة لا يُكفّر بها ، وذلك كمن أنكر مسألة أصلية شرعية متأولاً بدليل أو شبهة - كما وقع في هذا الشيعة والخوارج والمعتزلة وغيرهم على وجه عام ، أما أفرادهم فقد يكون فيهم الضال أو الكافر بحسب ما يصدر عنهم من مكفر في القول أو العمل - (١) .

ومن الحيثية الثانية ينقسمون إلى ثلاثة أقسام :

---

(١) راجع حكم هذه الأصناف في مختلف كتب العقائد ، وانظر « الاعتصام » للشاطبي ( ١٨٥/٢ ... ) و ( ٢٠٠/٢ - ٢٢٣ ) و ( ٢٢٦/٢ - ٢٣٠ ) و « مجموع فتاوى ابن تيمية » ( ٩٩/٣٥ - ١٠٤ ) وانظر « الكفر والمكفرات » للوالد الشيخ أحمد عز الدين البيانوني - رحمه الله تعالى - وانظر « لوامع الأنوار البهية » للسفاريني ( ٧٦/١ - ٩٣ ) نشر مؤسسة الخافقين .

- أ - سابق بالخيرات : وهو التقي الصالح .  
 ب - وظالم لنفسه : وهو الفاسق الفاجر .  
 ج - ومقتصد : وهو الضعيف المتردد بين الصنفين السابقين .  
 قال تعالى :

﴿ ثم أَوْرَثْنَا الكتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (١) .

وهذه الأصناف الثلاثة موجودة في أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام جميعاً .

وقد يوجد في بعض هذه الأصناف ، بعض صفات الكافرين والمنافقين وأعمالهم مما يؤاخذون عليه ، وإن لم يخرجهم من الملة ، ومن هنا قيل : هناك كفر دون كفر ، وضلال دون ضلال (٢) ، ومنه سميت مشابهة المنافقين في أعمالهم ( بالنفاق العملي ) .

فقد ورد في الحديث الشريف : « من حَلَفَ بغيرِ اللهِ فقد كفر أو أشرك » (٣) أي عَمَلَ عَمَلَ أَهْلِ الشُّرْكِ ، وَعُبِّرَ عَنْهُ بِالشُّرْكِ تَغْلِيظاً لِفِعْلِهِ ،

(١) الآية / ٣٢ / من سورة فاطر .

(٢) انظر ما فعله البخاري في ترجمته لبعض الأبواب بقوله : « كفرٌ دون كفر ، وظلمٌ دون ظلم » في « الفتح » (٨٣/١ و ٨٧) .

(٣) الحديث رواه الترمذي وقال : حديث حسن ، انظر « سنن الترمذي » ( ١٥٣٥ ) وجاء في التعليق على « رياض الصالحين » ص ٦٤٩ « وأخرجه أحمد ( ٣٤/٢ و ٦٩ و ٨٦ و ٨٧ ) ، وإسناده صحيح ، وصححه الحاكم ( ٢٩٧/٤ ) ووافقه الذهبي .

وتنفيراً منه (١) .

كما ورد فيه أيضاً :

« أَرَبٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مَنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ حَخْصَلَةٌ مَنَّهُنَّ ، كَانَتْ فِيهِ حَخْصَلَةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَّعِيَهَا : إِذَا ائْتَمَنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبًا ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » (٢) .  
هذه هي أبرز أصناف ( المؤمنين أو المسلمين ) .

وتكون دعوة كل صنف من هذه الأصناف ، كل بحسب حاله وموقعه من الاستجابة للحق والالتزام بالهدى ، فيُدعى السابق بالخيرات إلى الازدياد من الخير والتحقق بالتقوى ، وهو ميدان فسيح لانهاية له ...  
قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، آمِنُوا ... ﴾ (٣) وقال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا

وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٤) .

---

(١) يقول الإمام النووي تعليقاً على هذا الحديث : « وفسر بعض العلماء قوله « كفر أو أشرك » على التغليب ، كما روي أن النبي ﷺ قال : « الرباء شرك » « رياء الصالحين » ص ٦٤٩ ، وانظر « فيض القدير » للمناوي ( ١٢٠/٦ ) .

(٢) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » ( ٣٤ ) و ( ٨٩/١ ) و « صحيح مسلم » رقم ( ٥٨ و ٥٩ ) . ونقل الحافظ ابن حجر عن الكرمانى قوله : « ... أو ليعلم منه أن بعض النفاق كفر دون بعض ، والنفاق : لغة : مخالفة الباطن للظاهر ، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر ، وإلا فهو نفاق العمل ... » كما نقل عن النووي قوله : « والذي قاله المحققون : إن معناه أن هذه خصال نفاق ، وصاحبها شبيهة بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلف بأخلاقهم » . « الفتح » ( ٨٩/١ و ٩٠ ) .

(٣) الآية / ١٣٦ / من سورة النساء .

(٤) الآية / ١٠٢ / من سورة آل عمران .

وَيُدْعَى الظالم لنفسه إلى الرجوع عن فسقه وفجوره ، وإلى الالتزام  
بأمر الله وحكمه ، والتوبة من ظلمه لنفسه ،

ولكم دعا القرآن الكريم الزناة والمرابين والعصاة إلى التوبة !!  
وَيُدْعَى المقتصدُ إلى الثبات على الطاعة ، وتجنب المعصية ، كما  
يُدْعَى إلى الترقى بحاله إلى حال المتقين السابقين بالخيرات ، قال تعالى :  
﴿ قُلْ : يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ  
رَحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ  
الرَّحِيمُ ﴾ (١) .

وقال :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ، تَذَكَّرُوا ،  
فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (٢) .

وبهذا تكون دعوة كل مسلم من حيث هو قائم ، فلا يُسَوَّى بين  
الأصناف الثلاثة في أسلوب الدعوة ولا فيما يُدعى إليه .  
كما يُدعى المسلمون ( الضالون ) أي : الذين وقعوا في شيء من  
الضلال العقدي ، إلى تصحيح عقائدهم ، والرجوع عن ضلالهم ، قبل  
دعوتهم إلى الأحكام الفرعية ، والمسائل الجزئية ... فإذا تابوا إلى طريقة  
أهل السنة والجماعة ، كانوا أحد الأصناف الثلاثة السابقة . وإن لهؤلاء  
أساليب دعوية تناسبهم في دحض شبهاتهم ، ودفع تأولاتهم الباطلة ،  
لاتخفى على أهل العلم والاختصاص .

(١) الآية / ٥٣ / من سورة الزمر .

(٢) الآية / ٢٠١ / من سورة الأعراف .

## ب - أصناف الكافرين :

يمكن تصنيف الكافرين ( غير المسلمين ) إلى مايلي :

١ - الجاحدون الملحدون : وهم الذين ينكرون وجود الله عز وجل ويجحدونه ، كما هو حال ( الدهريين ) في القديم الذين كانوا يقولون كما أخبر عنهم القرآن الكريم :

﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ، نَمُوتُ وَنَحْيَا ، وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (١) ﴿ وقالوا : ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر ، وما لهم بذلك من علم ، إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (٢) .  
وكما هو حال الشيوعيين اليوم الذين يقولون « لا إله ، والحياة مادة » ويقولون : « الدين إفيون الشعوب » مما هو مشهور عنهم .

٢ - المشركون الوثنيون : وهم الذين أشركوا مع الله غيره في الاعتقاد أو العبادة ، مثل مشركي العرب وغيرهم من الوثنيين في الأمم الأخرى ، الذين أخبرنا الله عنهم بقوله :

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ، مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ، إِنْ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ... ﴾ (٣) .

وقد يتفرع هذان الصنفان إلى صنفين آخرين :

(١) الآية / ٣٧ / من سورة المزمون .

(٢) الآية / ٢٤ / من سورة الجاثية .

(٣) الآية / ٣ / من سورة الزمر .

أ - كافر أصلي : وهو الذي نشأ على الكفر والجحود والوثنية .  
ب - كافر مرتد : وهو الذي كان مسلماً ثم ارتد إلى شيء من ذلك .

ولكل صنف من هؤلاء أحكامه الخاصة به ، ويُدعوا جميعاً إلى الإيمان بالله وحده ، وإلى الرجوع عن كفرهم وشركهم ... وما أكثر الآيات التي تعرضت لدعوتهم في القرآن الكريم ! !

٣ - أهل الكتاب : وهم الذين لم يؤمنوا برسول الله ﷺ من أهل الديانات السابقة : كاليهود والنصارى ، وسُموا أهل الكتاب لانتسابهم إلى كتبهم السابقة ، وحُصِّوا بهذا الوصف وإن وقع كثير منهم في الشرك والوثنية ، باعتبار الأصل ، كما خصهم الله بعدد من الأحكام ... (١)  
ويُدعى هذا الصنف كغيره إلى الإيمان بالله وحده ، والإيمان بأركان الإيمان ، وأن الإسلام خاتم الأديان ، فإن هم استجابوا لذلك ، دعوا إلى غير ذلك من أعمال : كالصلاة والصيام ، فقد جاء في حديث معاذ رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال له :

« إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب ، فإذا جنتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فإذا هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات .. الحديث » (٢) .  
وهم لا يخرجون في الحكم العام عن وصف الكافرين ، لأنهم لم

(١) من ذلك : قبول الجزية منهم في الحرب ، وحل ذبائحهم للمسلمين ، وحل الزواج من نسائهم ، إلى غير ذلك من أحكام تعرف في كتب الفقه والأحكام : بأحكام أهل الذمة ، راجع كتاب « أحكام أهل الذمة » لابن القيم وغيره .

(٢) الحديث رواه البخاري ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » ( ٤٣٤٧ ) ( ٦٤ / ٨ ) .

يستجيبوا لدعوة محمد ﷺ ، قال تعالى :

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ، فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ، وَهُوَ فِي  
الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١) .

٤ - المنافقون : وهم الذين يُبطنون الكفر ويظهرون الإسلام ، وهم  
أخطر أصناف الكافرين لالتباس أمرهم على الناس ، وخداعهم لهم ، حيث  
يدخلون ظاهراً بين المؤمنين ، ولهذا كان جزاؤهم أشد من جزاء غيرهم ،  
قال تعالى :

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ، وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ  
نَصِيراً ﴾ (٢) .

كما قال تعالى في أوصافهم :

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ، وَإِذَا قَامُوا إِلَى  
الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى ، يُرَآؤُونَ النَّاسَ ، وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً \*  
مُذَبَذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ ، لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ، وَمَنْ يُضِلِل  
اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ... ﴾ (٣) .

كما قال عنهم :

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ،

---

(١) الآية / ٨٥ / من سورة آل عمران ، وانظر الآيات / ٨٠ - ٩١ / من السورة نفسها ،

ففيها تعداد لأصنافهم وبعض صفاتهم ، وحكمُ الله عليهم بالكفر ..

(٢) الآية / ١٤٥ / من سورة النساء .

(٣) الآيات / ١٤٢ - ١٤٣ / من سورة النساء .

قالوا : إنا معكم إنما نحن مُسْتَهْزِئُونَ الْآيَاتِ ... ﴿ (١) .  
وهؤلاء يدعون أيضاً إلى الإيمان بالله ، وترك النفاق - كما يدعى  
غيرهم من الكافرين - ولكل صِنْفٍ أسلوه في الدعوة ، فلا يدعى من  
ظهر كفره كدعوة من خفي كفره ، وهكذا ...  
وإن غير المؤمنين في كل عصر ومصر ، لا يخرجون عن هذه الأصناف  
الأساسية للكافرين ، مهما اختلفت أسماؤهم ، وتنوعت أساليبهم ، فقد  
وُجِدوا في زمنه ﷺ ، ويوجدون في الناس إلى يوم القيامة ...  
والقرآن الكريم ، والسنة النبوية ، حافلان بأساليب دعوتهم ، ومنهج  
مواجهتهم ، وقد كتبت أبحاث متخصصة في أسلوب دعوة بعضهم تفيد  
الدعاة في دعوتهم (٢) .

\* \* \*

---

(١) الآيات / ١٤ - ٢٠ / من سورة البقرة .

(٢) من ذلك بحث « منهج القرآن في مجادلة أهل الكتاب » للباحث : أحمد عبدالله السديس ،  
قدمه بإشرافي إلى قسم الدعوة والاحتساب في المعهد العالي بالمدينة المنورة للحصول على  
درجة الماجستير ، عام ١٤٠٩ هـ .

### ٣ - الركن الثالث :

#### « موضوع الدعوة »

موضوع الدعوة الإسلامية هو « الإسلام الذي يُدعى الناس إليه » ولما كان الحديث عن الإسلام واسعاً ، وجوانبه متعددة ، وتحدثُ عنه جميع العلوم الإسلامية ، رأيت الاختصار في هذا المقام على ذكر مجمل لعدة أمور :

١ - تعريفه .

٢ - خصائصه .

٣ - مبادئه الأساسية .

وذلك تحريماً للاختصار من جهة ، ودفعاً للتكرار من جهة أخرى .

١ - تعريفه :

الإسلام في اللغة : مشتق من الاستسلام ، وهو الخضوع والانقياد ، وسمي المسلم مسلماً لخضوعه وانقياده لما جاء به محمد ﷺ .

أما في الاصطلاح : فله إطلاقان : عام وخاص .

أ - الإطلاق العام : على جميع الأديان السماوية التي اشتملت على الخضوع والانقياد لما جاء عن الله عز وجل .

ب - والإطلاق الخاص : على ما جاء به محمد ﷺ ، ولهذا الإطلاق تعريفان في الاصطلاح عام وخاص :

فالإسلام بمعناه العام : هو الدين الذي جاء به محمد ﷺ ، والذي يشتمل على جانب العقيدة والشريعة والأخلاق .

وإسلام بمعناه الخاص : ما عرفه به الرسول ﷺ في حديث عمر

رضي الله عنه لما سأله جبريل عليه السلام عن الإسلام بمقابل الإيمان والإحسان ، قال :

« الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ... » (١) .

والإسلام بمعناه العام يشتمل على جوانب ثلاثة :

#### ١ - جانب العقيدة :

ويتمثل في الإيمان وأركانه الستة التي ذكرها الرسول ﷺ في حديث جبريل وهي :

« أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ... » (٢) .

كما تُلحَقُ بهذا الجانب جميع المسائل العقديّة التي جاء بها الإسلام ، والتي يطلق عليها بعضهم اسم ( نظام العقيدة في الإسلام ) .

#### ٢ - جانب الشريعة :

ويتمثل في أركان الإسلام التي ذكرها الرسول ﷺ في حديث جبريل ، وفي جميع الأحكام الشرعية التي جاء بها الإسلام ، سواء على المستوى الشخصي والأسري ، والمستوى العام ، فيشمل ما يسمى ( بنظام العبادة ، ونظام المعاملة والاقتصاد ، ونظام الأحوال الشخصية ، ونظام الحكم والسياسة ، ونظام الاجتماع ، ونظام الحسبة ، ونظام الجهاد وما إلى ذلك ... ) مما أوفت ببيانه كتب الفقه والأحكام .

(١) هو جزء من حديث طويل رواه مسلم في صحيحه ، انظر « صحيح مسلم » ( ٨ ) .

(٢) في الحديث السابق الذي رواه مسلم رقم ( ٨ ) .

### ٣ - جانب الأخلاق :

ويتمثل في الأخلاق الكريمة والصفات الحسنة ، والسلوك المستقيم الذي جاء به الإسلام ، ويعتد رسول الله ﷺ ليتممه أو يقرره ... والذي منه الإحسان الذي بيّنه ﷺ في حديث جبريل السابق ، لما سئل عن الإحسان ، قال :

« أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تراه فإنه يراك »<sup>(١)</sup> وقد جاء في الحديث الشريف :

« إنما بُعِثْتُ لأتَمَّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ »<sup>(٢)</sup> .

ويشمل هذا الجانب ما يعرف « بنظام السلوك أو نظام الأخلاق في الإسلام » .

### ٢ - خصائص الإسلام :

يختص الإسلام بخصائص فريدة ، ومزايا كريمة كثيرة ، تتجلى في كليات أحكامه وجزئياتها ، ولعل من أبرز خصائصه العامة :

أ - الربانية .

ب - الكمال .

ج - الوضوح .

د - الشمول .

(١) انظر الحديث السابق الذي رواه مسلم رقم ( ٨ ) .

(٢) الحديث رواه الإمام مالك في « الموطأ » بلاغاً عن النبي ﷺ ، وقال ابن عبد البر : « هو متصل بر وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره ... » انظر « كشف الخفاء » للمجلوني ( ١ / ٢٤٤ و ٢٤٥ ) .

هـ - التوازن .

و - العملية .

وقد سبق معنا الحديث عن هذه الخصائص إجمالاً في بيان خصائص القرآن الكريم الذي يُعدُّ عمدة هذا الإسلام .

كما أن هناك خصائص تفصيلية أخرى منها :

١ - التيسير ورفع الحرج .

٢ - التدرج في التشريع .

٣ - التوقيف في جانب العبادة .

٤ - الجمع بين الثبات والمرونة في الأحكام .

إلى غير ذلك من خصائص تعرف في محالها المتفرقة في كتب

الخصائص ومحاسن الإسلام ، لانطيل بذكرها (١) .

٣ - مبادئ الإسلام الأساسية :

مبادئ الإسلام الأساسية كثيرة ، تختلف أساليب العلماء في

تعدادها وتجليتها ، ويمكننا إجمال أهمها في جوانب ثلاثة :

أ - في جانب الصلة بالله .

ب - في جانب الصلة بالنفس .

ج - في جانب الصلة بالآخرين .

---

(١) انظر تفصيلاً للخصائص العامة في كتاب « الخصائص العامة للإسلام » للدكتور يوسف

القضاوي ، وكتاب « خصائص الدعوة الإسلامية » لمحمد أمين حسين ، وكتاب « خصائص

الشرعة الإسلامية » للدكتور : عمر سليمان الأشقر . وانظر بعض الخصائص الجزئية في

كتاب « خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم » للدكتور : فتحي الدريني ،

وغيره في جوانب الإسلام الأخرى .

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه الجوانب الثلاثة مجتمعة في حديث واحد يُعدُّ من جوامع كلمه ، وهو قوله :  
« اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وحآلقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ » (١) .

- أ - المبادئ الأساسية في جانب الصلة بالله : من ذلك :
- ١ - الدعوة إلى الإيمان بالله بأركانه الستة التي بينها حديث جبريل السابق ، وقد تضافرت الرسائل السماوية على الدعوة إلى هذا الجانب الذي لا يتغير من شريعة إلى شريعة لعلاقته بالملة الواحدة .
  - ٢ - الدعوة إلى أركان الإسلام الخمسة التي بينها حديث جبريل أيضاً .
  - ٣ - الدعوة إلى الإحسان الذي بينه حديث جبريل أيضاً .
- وإذا كانت حقيقة الدعوة إلى الإيمان والإسلام دعوةً لاعتقادات وأعمال أساسية لا بد منها ، فإن الدعوة إلى الإحسان دعوة إلى حالة ضرورية لا يكمل إيمان المسلم إلا بها .
- ولا تخفى أثر هذه الاعتقادات والأعمال والأحوال في حياة الإنسان ، وهي بمجموعها يمكن أن يعبر عنها ( بالتقوى ) .
- ولأهمية هذه المبادئ ، وتفضيلها على غيرها أطلق عليها ﷺ كلمة « الدين » فقال في حديث جبريل : « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم » .

---

(١) الحديث رواه أحمد والحاكم وقال : على شرطهما ، ورواه البيهقي والترمذي عن أبي ذر ومعاذ رضي الله عنهما ، وقال الترمذي : « حَسَنٌ صَحِيحٌ ... » انظر « كشف الخفاء » للعجلوني ( ٤٣/١ ) ، وانظر « سنن الترمذي » ( ٢٠٥٣ ) و ( ٢٣٩/٣ ) ط : عبد الرحمن محمد عثمان .

ولعل من حكمة سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام قبل الإيمان ، أن أركان الإسلام أعم وأشمل من أركان الإيمان ، لشمولها على الركن الاعتقادي الأول ، وعلى الأركان الأربعة العملية الأخرى ، فحسن البدء به ، ثم جاء الحديث عن أركان الإيمان كتفصيل وتوضيح للركن الاعتقادي الأول .

ولا يفهم من هذا الترتيب أفضلية الإسلام على الإيمان ، وإنما هما لفظان متكاملان ، يكمل أحدهما الآخر ، ومن هنا قال بعض المحققين في معنى الإيمان والإسلام : « أنهما إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا » (١) .

ب - المبادئ الأساسية في جانب الصلة بالنفس : من ذلك :

١ - الدعوة إلى إعطاء النفس البشرية حقوقها كاملة ، سواء منها الحقوق المعنوية والمادية ، قال تعالى :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا \* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا \* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٢) .

وجاء في الحديث الشريف :

« ... ولنفسك عليك حقاً » (٣) .

---

(١) انظر توضيحاً لهذا المعنى وتفصيلاً فيه في « شرح العقيدة الطحاوية » ص ( ٣٢٨ ) - ( ٣٢٩ ) بتحقيق الأرنؤوط .

(٢) الآيات / ٧ - ١٠ / من سورة الشمس .

(٣) جزء من حديث شريف رواه البخاري في صحيحه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم ( ١٩٦٨ ) ( ٢٠٩/٤ ) .

٢ - الدعوة إلى الاهتمام بواجباتها ، وأداء وظائفها ، فإن النفس البشرية مخلوق من مخلوقات الله عز وجل لها حقوقها وعليها واجباتها ، ولا بد من توازن بين الحقوق والواجبات ، سواء أكانت مادية أم معنوية ، وقد جاء في الحديث السابق « فأعط كل ذي حق حقه » (١) .

وإذا كان من حقوق النفس البشرية ، حقها في الحياة ، وفي الطعام والشراب والنوم ، والدواء ، والتجمل وإنقاذها من عذاب الله في الدنيا والآخرة . وما إلى ذلك من حقوق مادية ، ومن حقوقها : الحرية ، والأمن ، والعدالة وما إلى ذلك من حقوق معنوية ...

فإن من واجباتها : طاعة الله ورسوله فيما أمر به ، واجتناب نهيها ، وابتعادها عن الظلم بجميع أنواعه ...

وقد أشار الحديث الشريف السابق إلى أسلوب من أساليب أداء الإنسان لحق نفسه فقال : « وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا » (٢) .

كما أنكر الرسول ﷺ صراحةً اختلال التوازن بين الحقوق والواجبات بالنسبة للنفس البشرية ، وذلك في حديث الرهط الثلاثة ، ففي الحديث الشريف :

« جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا ، كأنهم تقالوها وقالوا : أين نحن من النبي ﷺ ، قد عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا ، فأصلي

(١) جزء من حديث شريف رواه البخاري في صحيحه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم

( ١٩٦٨ ) ( ٢٠٩/٤ ) .

(٢) سبق تخريجه في ص ١٨٦ .

الليل أبداً ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا  
أعترزل النساء فلا أتزوج أبداً .

فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ ! أما  
والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ،  
وأتزوج النساء ، من رغب عن سنتي فليس مني » (١) .

ج - المبادئ الأساسية في جانب الصلة بالآخرين : من ذلك :

١ - الدعوة إلى بر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والعناية بالأهل والأولاد ...  
قال تعالى :

﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾ (٢) ، وقال :

﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ (٣) ،  
وقال :

﴿ يا أيها الذين آمنوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾ (٤) وقال :

﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ ... ﴾ (٥) .

٢ - الدعوة إلى حسن الجوار ، والرحمة بالضعفاء واليتامى والمساكين ...

---

(١) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم ( ٥٠٦٣ ) ( ١٠٤/٩ ) ر

« صحيح مسلم » ( ١٤٠١ ) .

(٢) الآية / ٣٦ / من سورة النساء .

(٣) الآية / ٧٥ / من سورة الأنفال .

(٤) الآية / ٦ / من سورة التحريم .

(٥) الآية / ١٥ / من سورة الزمر .

قال تعالى :

﴿ وبالوالدين إحساناً ، وبذي القربى واليتامى والمساكين  
والجار ذي القربى ، والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن  
السبيل ، وما ملكت أيمانكم ، إن الله لا يحب من كان مختالاً  
فخوراً ﴾ (١) . إلى غير ذلك من نصوص شرعية كثيرة .

٣ - الدعوة إلى التآخي والتعاون والتعاطف والتحابب بين المسلمين :  
قال تعالى :

﴿ إنما المؤمنون إخوة ، فأصلحوا بين أخويكم ﴾ (٢) ، وقال :  
﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم  
والعدوان ﴾ (٣) ، وقال :

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ (٤) .

وجاء في الحديث الشريف :

« مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاظِفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا  
اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى » (٥) .

٤ - الدعوة إلى بذل النصيحة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

(١) الآية / ٣٦ / من سورة النساء .

(٢) الآية / ١٠ / من سورة الحجرات .

(٣) الآية / ٢ / من سورة المائدة .

(٤) الآية / ١٠٣ / من سورة آل عمران .

(٥) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح مسلم مع الفتح » ٦٠١١ ( ٤٣٨/١٠ ) ، ونظ

البخاري « ترى المؤمنين ... » .

قال تعالى :

﴿ والعصر ﴿ إن الإنسان لفي خسر ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿ وتواصوا بالحق ﴿ وتواصوا بالصبر ﴾ (١) وقال تعالى :

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ﴾ (٢) . وجاء في الحديث الشريف :

« الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم » (٣) .

٥ - الدعوة إلى الشورى وعدم الانفراد في الرأي : قال تعالى :

﴿ وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾ (٤) . وقال أيضاً :

﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ (٥) .

٦ - الدعوة إلى العدل والمساواة بين الناس : قال تعالى :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ... ﴾ (٦) .

(١) سورة العصر .

(٢) الآية / ١٠٤ / من سورة آل عمران .

(٣) الحديث رواه مسلم ، انظر « صحيح مسلم » رقم ( ٥٥ ) .

(٤) الآية / ١٥٩ / من سورة آل عمران .

(٥) الآية / ٣٨ / من سورة الشورى .

(٦) الآية / ٩٠ / من سورة النحل .

وقال أيضاً :

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ، اعدلوا هو أقربُ  
للتقوى ... ﴾ (١) وقال :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ ، وَجَعَلْنَاكُمْ  
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... ﴾ (٢)  
وفي الحديث الشريف :

« قيل للنبي ﷺ : من أكرم الناس ؟ قال : أكرمهم أتقاهم » (٣) ،  
وفي الحديث الآخر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :  
قال رسول الله ﷺ : « إن ربكم واحد ، وأبائكم واحد ، فلا فضل  
لعربي على عجمي ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى » (٤) .

٧ - الدعوة إلى معاملة الناس بالخلق الحسن : قال تعالى :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ  
لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ... ﴾ (٥) .  
وفي الحديث الشريف :

(١) الآية / ٨ / من سورة المائدة .

(٢) الآية / ١٣ / من سورة الحجرات .

(٣) رواه البخاري ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » ( ٣٣٧٤ ) ( ٤١٤ / ٦ ) .

(٤) الحديث ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » وقال : رواه الطبراني في الأوسط والبخاري

بنحوه إلا أنه قال : « إن أبائكم واحد ، وإن دينكم واحد ، أبوكم آدم ، وآدم من تراب »  
ورجال البزار رجال الصحيح ، انظر ( ٨٤ / ٨ ) .

(٥) الآية / ١٥٩ / من سورة آل عمران .

« إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم »<sup>(١)</sup> .  
وجاء أيضاً :

« وخالق الناس بخلق حسن »<sup>(٢)</sup> .

إلى غير ذلك من مبادئ كثيرة في هذا الجانب ، على الدعاة أن  
يتمثلوها في أنفسهم ، ويدعوا الناس إليها...

\* \* \*

---

(١) الحديث رواه أبو داود ، وصححه ابن حبان ، انظر « سنن أبي داود » رقم ( ٤٧٩٨ ) ، و

« صحيح ابن حبان » ( ١٩٢٧ ) .

(٢) الحديث سبق تخريجه ص : ١٨٦ .